الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم: العلوم الإسلامية

تخصص: تفسير وعلوم القرآن

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر الموسومة:

أسباب النزول عند أبي حيان الأندلسي وأثرها في تفسيره

- آيات من سورة البقرة -

إعداد الطالبة

بن صالح إيمان

إشـــــراف:

د. خليفي الشيخ

السنة الجامعية : 1436-1437هـ/2015-2016م

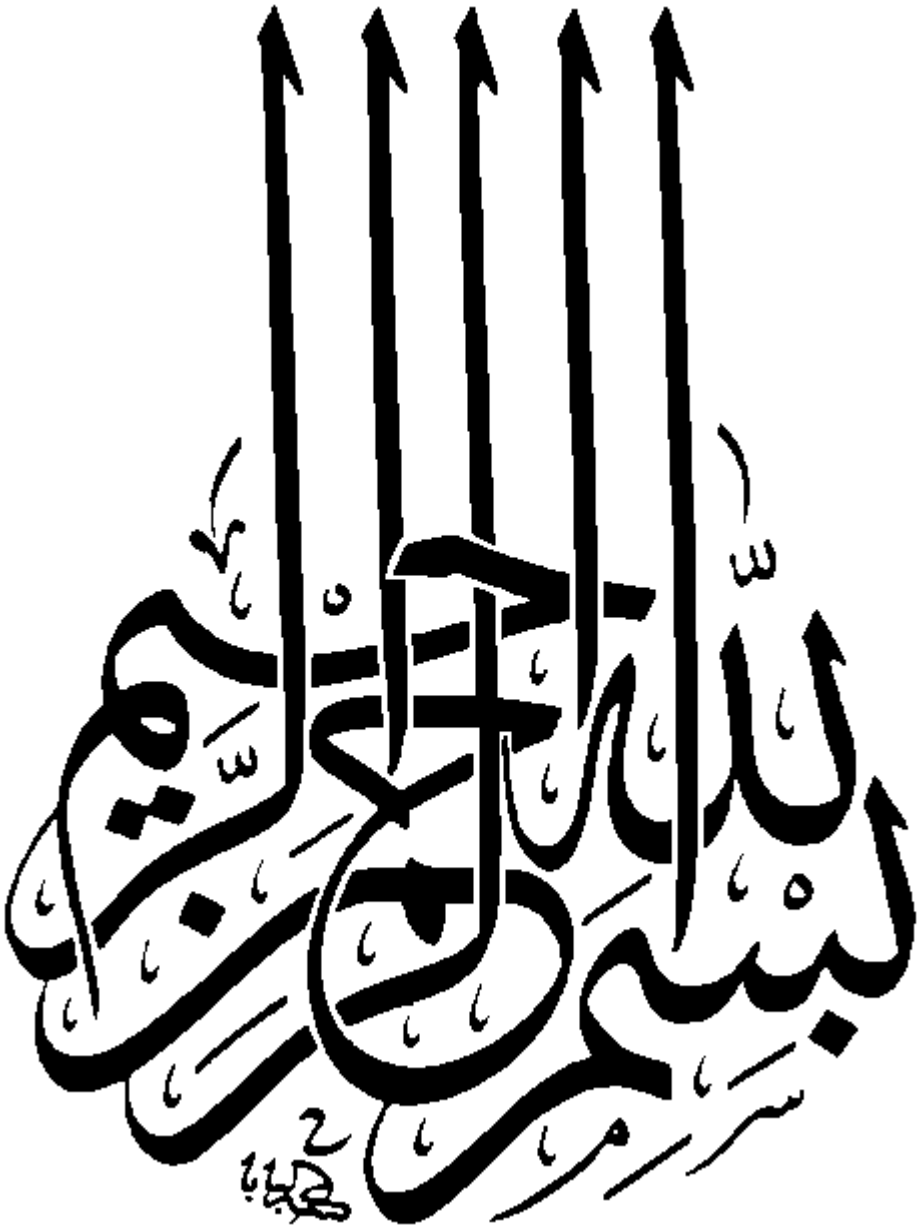
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين.

إلى صاحب الفردوس الأعلى وسراج الأمّة المنير وشفيعها البشير النذير نبيّنا محمد ﷺ.

إلى الماس الذي لا ينكسر... نبع العطاء الذي زرع الأخلاق بداخلي وعلمني طرق الارتقاء... أبي العزيز حفظه الله وأطال في عمره.

إلى الزهرة التي لا تذبل... نبع الحنان... التي ساندتني ووقفت إلى جانبي حتى وصلت إلى هذه المرحلة من النجاح والتقدّم... إلى من تعجز الكلمات عن وصفها وتسكن أمواج البحر لسماع اسمها... أمي الحنون، أطال الله في عمرها.

ملائكة الأرض، شقائق النعمان... الذين احتضنوني وزرعوا الورود في طريقي... إلى أشقائي نجيب ومروة وأيوب.

إلى جميع الأهل والأحباب داخل وخارج الوطن، وأخصّ بالذكر الزوج المحترم.

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى كل من قال كلمة الحق لا إله إلاّ الله محمدا رسول الله ﷺ، سائلا المولى عز وجل أن يوفقني لما يحبّه ويرضاه.

كلمة شكر وتقدير

انطلاقا من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [سورة إبراهيم: الآية 07] فإنّي أحمد الله وأشكره، فهو أهل للحمد والثناء، وإنّ العبد مهما شكر ربّه فلن يحصي ثناء عليه، فالحمد له والشكر لله أن أعانني على إتمام هذا البحث، الذي أسأله تعالى أن يكون في ميزان حسناتي يوم القيامة، كما أشكره على كل النعم التي أولاني إيّاها .

ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله، فإنّني أتقدّم بالشكر الجزيل إلى من تعبا من أجلي، ووجّهاني للعلم الشرعي وربياني على طاعة الله، والديّ الكريمين، فما الباحث ولا البحث إلاّ من حسناتهما التي أسأل المولى العليّ القدير أن يثقل به موازينهما .

ثمّ أتوجّه بخالص شكري، وغاية تقديري لمشرفي الفاضل، وأستاذي الكريم، الدكتور خليفي الشيخ، الذي أولاني من علمه وتوجيهه ونصحه، فجزاه الله عنّي خير الجزاء .

كما أتقدّم بجزيل الشكر وخالص التقدير لأصحاب الفضيلة أعضاء لجنة المناقشة، الدكتور: باي بن زيد ومحمد مهدي لخضر بن ناصر لتفضلهما قبول مناقشة هذه المذكرة وإثرائها بآرائهما وتوجيهاتهما السديدة.

أسأل الله السميع المجيب أن يعينني على حفظ الجميل، وأن يتقبّل منّي هذا العمل، وأن يجعله ذخرا وزادا للآخرة.

والله تعالى أعلى وأعلم وصلّى الله على النبيّ الأكرم وعلى آله وصحبه وسلّم.

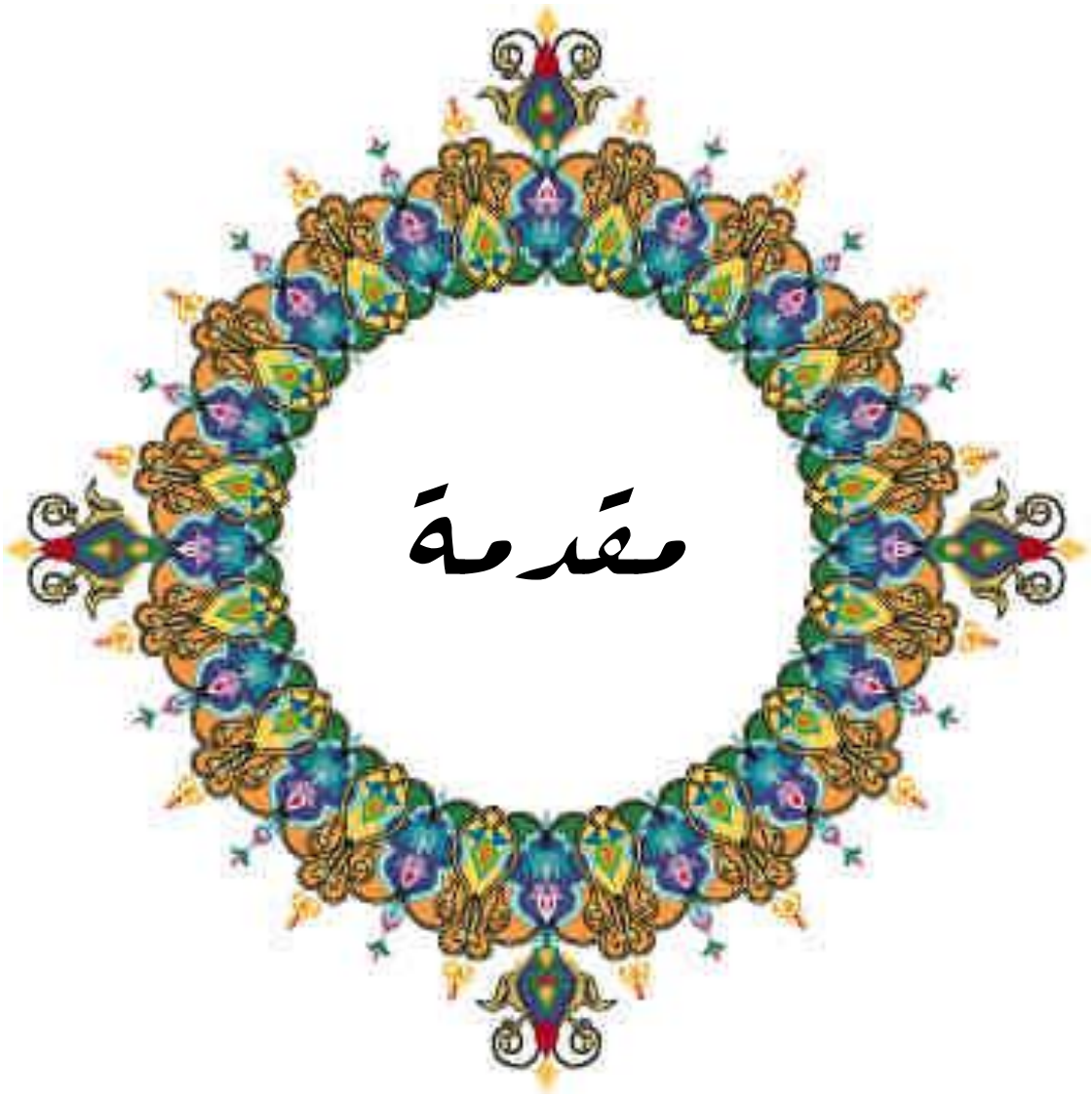
مقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك، وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلّم تسليما كثيرا.

أمّا بعد، فإنّ أحقّ ما صرفت فيه الأوقات، وأعظم ما شمّر له المشمرون، فأفنوا فيه أعمارهم: تعلّم كتاب الله وتعليمه، والعناية به، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن اتبعه فاز ورشد، ومن حاد عنه ضلّ وفسد، تكفّل الله بحفظه، حيث قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [سورة الحجر: الآية 09].

ولّما كان أهل القرآن هم أهل الله وخاصته، وكانت علوم القرآن هي أشرف العلوم، لتعلّقها بأعظم الكتب وأشرفها، وإنّ ممّا يتشرّف المسلم بتعلّمه من هذه العلوم علم أسباب النزول، ولما لهذا العلم الشريف من تلازم كبير مع علم التفسير حيث يعد من صميمه وجوهره، لذلك ارتأيت أن تكون دراستي التي أقدّمها لقسم العلوم الإسلامية، تخصص تفسير وعلوم القرآن بجامعة أبي بكر بلقايد تحت عنوان "أسباب النزول عند أبي حيان الأندلسي وأثرها في تفسيره [آيات من سورة البقرة]، وقد اخترت لذلك سورة البقرة نموذجا.

إشكالية الموضوع:

لعلّ الإشكالية التي رأيت طرحها في مثل هذه الدراسة هي كالتالي:

– ما موقف أبي حيان الأندلسي من أسباب النزول؟ وكيف وظّفها؟ وهل كان لها اثر في تفسيره؟

أهمية الموضوع:

للبحث الذي اخترته أهمية تتمثل في:

1- مكانة أبي حيان الأندلسي وما حواه في تفسيره البحر المحيط وعلو قدره بين كتب التفسير بحيث يعدّ من أهمّ المراجع في التفسير.

2- أسباب النزول علم قائم بذاته، اهتمّ به العلماء قديما وحديثا، لما له من اتصال وثيق في فهم نصوص القرآن.

3- كشف المعنى من النص القرآني، نتيجة لما يحدثه من أثر واضح في تفسير القرآن الكريم.

4- دراسة القواعد التي بني عليها علم أسباب النزول، ومناقشتها، وتطبيقها على أمثلة لرواية أسباب نزول آيات معينة.

5- إبراز روايات أسباب النزول في تفسير كتاب الله جلّ جلاله.

أسباب اختيار الموضوع:

ممّا دفعني لاختيار هذا الموضوع عدّة أسباب، أذكر منها:

1- ابتغاء مرضاة الله عزّ وجل وخدمة كتابه لقوله تبارك وتعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾ [سورة ص: الآية 29].

2- إثبات أنّ علم أسباب النزول من العلوم التي هي جوهر علم التفسير.

3- معرفة أسباب النزول في علاج بعض قضايا العصر.

4- إثبات أنّ الآثار الواردة في علم الأسباب، هي آثار تكشف عن معنى النص القرآني والرد على من زعم أنّها مجرّد سرد تاريخي لا طائل من ورائه.

5- رغبتي في بحث يجمع أطراف الموضوع، ولمّ شتاته في رسالة واحدة، وموضوع مستقلّ لأنّه لم يسبق حسب ما انتهى إليه علمي، أنّ أحدا كتب في هذا الموضوع وبهذه الصورة.

أهداف الدراسة:

وتنحصر في ما يلي:

1- وضع نواة بحثية لدراسة وشرح أسباب النزول في تفسير أبي حيان الأندلسي.

2- الوقوف على منهج أبي حيان الأندلسي من خلال توظيفه لأسباب النزول.

3- بيان أثر معرفة أسباب النزول في تفسير أبي حيان.

4- معرفة الوقوف على تطبيقات منهج أبي حيان الأندلسي في توظيفه لأسباب النزول في آيات من سورة البقرة.

الدراسات السابقة:

من خلال تعاملي مع موضوع بحثي واجهتني الكثير من الصعوبات، والتي تتمثل في قلّة الدراسات التي اهتمّت بهذا الموضوع، ولا توجد رسائل جامعية تتعلّق بعنوان موضوع رسالتي، وذلك في حدود اطّلاعي ومعرفتي القاصرة، سوى رسالتين علميتين، أحدهما لعبد الله طاهر محمود إسماعيل زيد ورسالته موسومة بـــ "معرفة أسباب النزول وأثرها في اختلاف المفسرين والفقهاء"، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، كلية الدراسات العليا، 1424هـــ-2003م.

والرسالة الثانية لرمضان يخلف بعنوان "موازنة بين الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي"، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، قسم الكتاب والسنة، 1422هـــ-2001م.

فبعد الوقوف عليهما، استخلصت أنّهما كانا يتناولان علم أسباب النزول كدراسة مقارنة من حيث اختلاف المفسرين والفقهاء، لذلك حصرت دراسة هذا العلم المبارك عند أبي حيان فقط.

منهج الدراسة:

استعنت في سبيل إعداد هذه الدراسة بعدّة مناهج و لم أقتصر على منهج واحد، نظرا لطبيعة الموضوع ومادة البحث التي تقتضي ذلك، فقد اعتمدت على مناهج رأيتها أساسية هي ثلاث: المنهج الوصفي والتأصيلي، وكذا الاستقرائي التحليلي.

- المدخل من هذا البحث أعملت فيه المنهج الوصفي، حيث قمت بتعريف أسباب النزول، وترجمة عامة لأبي حيان الأندلسي، وصفه لكتابه البحر المحيط، وكذا بسط أقوال العلماء في الثناء عليه.

- بينما الفصل الأوّل وظفت المنهج التأصيلي، حيث تطرّقت إلى مسلك أبي حيان في عرض أسباب النزول، إضافة إلى مجموعة من قواعد أسباب النزول القرآني عند أبي حيان.

- أمّا في الفصل الثاني أعملت فيه المنهج الاستقرائي والتحليلي نظرا لمادة البحث، فقد تناولت مسائل أسباب النزول بالتحليل، من خلال تطبيقات مؤيدة، أردت بها كسر طوق العرض النظري للبحث، كما قصدت إخراج علم أسباب النزول في ثوب الفاعلية من خلال الكشف عن أثره العظيم في خدمة النص القرآني.

محتوى الدراسة (خطة البحث):

اقتضت طبيعة الكتابة في هذا الموضوع تقسيمه إلى: مقدمة، ومدخل، وفصلين، وخاتمة، وملاحق بالفهارس العامة.

* مقدمة: وتشتمل على ما يلي: تصور عام عن الموضوع، وأهميته، وأسباب اختياري لهذا الموضوع، وأهداف دراسته، والدراسات السابقة في هذا المجال، ومنهجي فيه، وخطة البحث.

* مدخل: ويتضمن دراسة موجزة وهي:

– التعريف بأسباب النزول.

– فوائد معرفة أسباب النزول في القرآن الكريم.

– ترجمة أبي حيان الأندلسي.

– التعريف بكتابه البحر المحيط ومنهجه فيه.

* الفصل الأوّل: منهج أبي حيان الأندلسي في توظيفه لأسباب النزول، وفيه مبحثان.

– المبحث الأوّل: صيغ اعتماد أسباب النزول عند العلماء عامة، وفيه مطلبين.

المطلب الأوّل: موقف الزمخشري من أسباب النزول.

المطلب الثاني: موقف ابن جزي من أسباب النزول.

– المبحث الثاني: توظيف أبي حيان لأسباب النزول القرآني، وفيه مطلبين.

المطلب الأوّل: مسلك أبي حيان في عرض أسباب النزول القرآني.

المطلب الثاني: قواعد أسباب النزول القرآني عند أبي حيان.

* الفصل الثاني: أثر أسباب النزول في تفسير أبي حيان الأندلسي – نماذج من سورة البقرة- وفيه مبحثين.

– المبحث الأوّل: أثر أسباب النزول في آيات العقيدة والعبادات عند أبي حيان، وفيه مطلبين.

المطلب الأوّل: آيات تتعلّق بالعقيدة.

المطلب الثاني: آيات تتعلّق بالعبادات.

– المبحث الثاني: أثر أسباب النزول في آيات الإحسان وأحكام النكاح والطلاق عند أبي حيان، وفيه مطلبين.

المطلب الأوّل: آيات تتعلّق بالإحسان.

المطلب الثاني: آيات تتعلّق بالنكاح والطلاق..

* أمّا الخاتمة فكانت عبارة عن ملخص أدرجت فيها أهمّ ما توصّلت إليه من نتائج وتوصيات.

وبعد، فإنّ هذا جهد المقلّ أضعه بين يدي أساتذتي الأفاضل لينظروا فيه، فما كان فيه من صواب فهو بتوفيق من الله، ثمّ بفضل التوجيهات السخية من أستاذي المشرف، وما كان فيه من خطأ فمنّي ومن الشيطان، وإنّني أسأل الله تعالى أن يعفو عني فيه، ويغفر لي زللي، فالكمال لله وحده.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

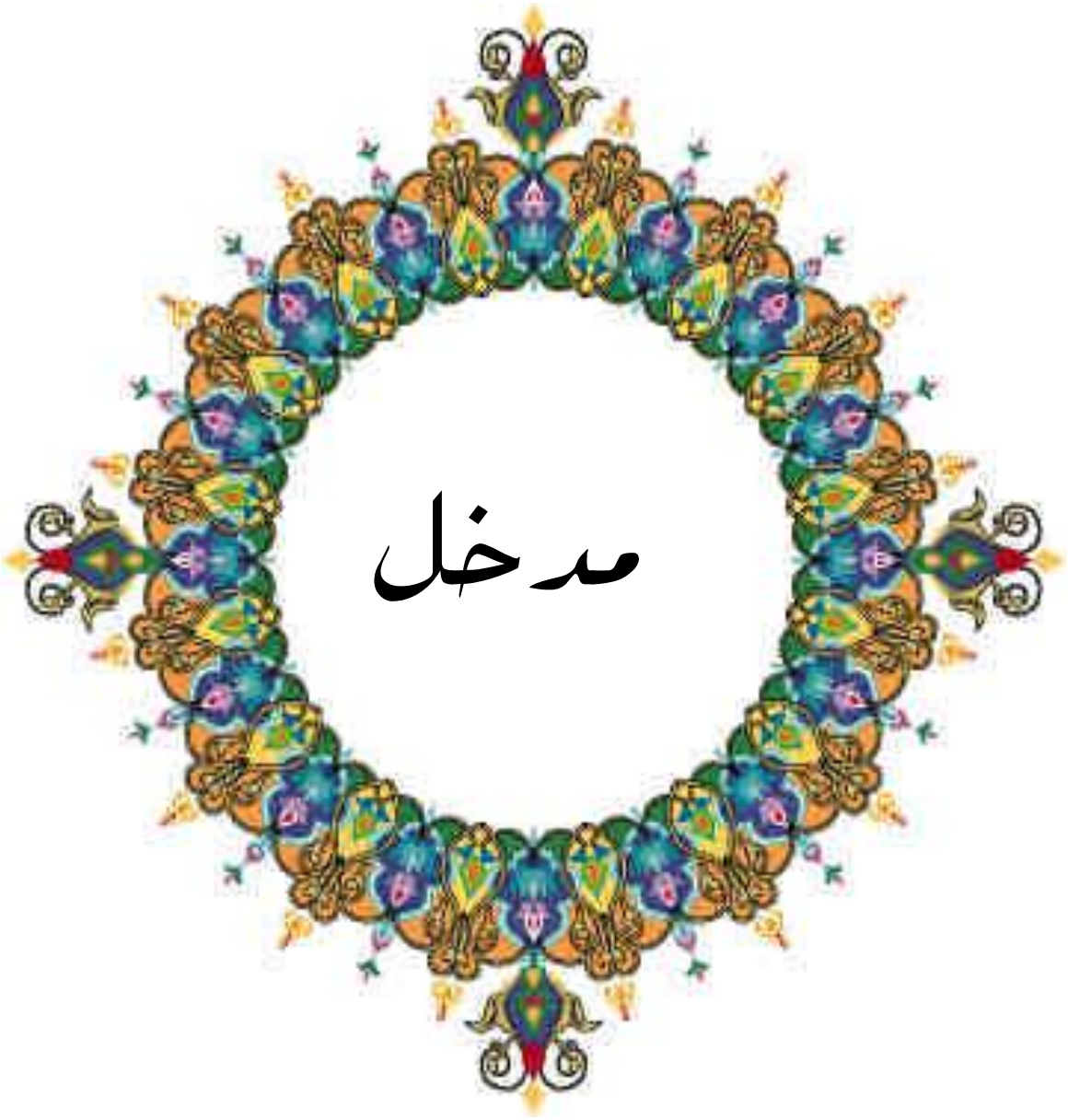
مدخل

أولا: التعريف بأسباب النزول.

إنّ سبب النزول مركب إضافي، وهذا يقتضي التعريف بجزئيه، ثمّ يأتي التعريف الاصطلاحي لسبب النزول.

أ/ معنى السبب.

1/معنى السبب في اللغة: وردت كلمة السبب في اللغة بمعنيين:

كل ما يتوصل به إلى غيره، واعتلاق قرابة، جمعه أسباب [1].

كما تطلق على الحبل وهو ما يتصل به إلى الاستعلاء، ثمّ استعير لكل شيء يتوصل به إلى أمر من الأمور فقيل هذا سبب هذا أو هذا مسببٌ عن هذا[2].

2/معنى السبب في القرآن: وردت كلمة السبب في القرآن بمعناها اللغوي، فوردت بمعنى الحبل[3]، وذلك في تعالى: ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ١٥ ﴾[4]. والمعنى: أنّه من كان يظنّ أنّ الله لن ينصر محمّدا في الدنيا والآخرة، فليمدد حبلا أو شيئا يصل به إلى سقف فوقه وليختنق به[5].

فالمراد من القول أنّه من كان ظانا أنّ الله لن ينصر نبيّه محمّدا ﷺ فليمدد بحبل.

3/معنى السبب عند الأصوليين:

السبب هو الذي يلزم من وجوده الوجود، ومن عدمه العدم لذاته، كزوال الشمس لوجوب الظهر إباحة القصر، والفطور، والزنى، وشرب الخمر، والسرقة لحصول تلك العقوبات[6].

---

(1) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي– معجم القاموس المحيط، تح: خليل مأمون شيحا، ط.04، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، 1430هـ–2009م: ص 586.

(2) أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرّي– المصباح المنير، ط.01، دار الحديث، القاهرة، 1421هـ: ص 109.

(3) ينظر: المصدر نفسه: ص 109.

(4) سورة الحج :الآية 15.

(5) عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي– تفسير القرآن العظيم، تح: مصطفى السيد محمد، ط01، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1421هـ–2000م:م10/ص22.

(6) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي–الموافقات، دار بن عفان :م01/ص 298.

وفي معنى آخر للسبب: هو وصف ظاهر منضبط، مناطا لوجود حكم، أي يستلزم من وجودِه وجودَه وبيانه[1]، لأنّ الله سبحانه وتعالى جعل في الزاني حكمين:

الحكم الأوّل: تكليفي: هو وجوب الحدّ عليه.

الحكم الثاني: وصفي: وهو جعل الزّنى سببا لوجود الحدّ، لأنّ الزنى لا يوجب الحدّ بعينه وذاته بل يجعل الشرع[2]، وعليه فالسبب عند الأصوليين مأخوذ من المعنى اللغوي.

4/معنى السبب عند الفقهاء:

يستعمل الفقهاء كلمة السبب على عدّة معاني منها[3]:

أولا: ما يقابل المباشرة كالحفر مع التردية فالحافر يسمى صاحب سبب والمردي الذي هو المباشر صاحب علّة.

ثانيا: بمعنى علة العلة يسمونها علّة، كالرمي فإنّه علّة إصابة السهم بدون الشخص المرمي، وإصابته إيّاه علّة لقتله، فالرمي علّة لعلّة القتل تسمى سببا.

ثالثا: العلة التي تخلف شرطها، كنصاب الزكاة بدون الحلول.

رابعا: العلة الشرعية نفسها وعليه أكثر أهل الأصول، قال في مراقي السعود:

ومع ترادف علة السبب والفرق بعضهم إليه قد ذهب[4].

وعليه، فإنّ تعدّدت تعريفات الفقهاء للسبب، فإنّه لا يخرج عما هو موضوعه اللغة.

ب/ معنى النزول.

1 / معنى النزول في اللغة: وردت كلمة النزول في اللغة بمعنيين:

---

(1) محمد بن علي بن محمد الشوكاني- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تح :أبو حفص سامي بن العربي الأثري، ط01، دار الفضيلة، الرياض، 1421هـ-2000م: ج01/ص 75 .

(2) المصدر نفسه :ج01/ص76 .

(3) محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي – مذكرة في أصول الفقه، دار العلوم والحكم، المدينة المنورة: ص 50.

(4) المصدر نفسه: ص 51.

*الحلول : يقال نَزَلَهُم، ونَزَلَ بهم ونَزَلَ عليهم، يَنْزِلُ مَنْزَلاً ومَنْزِلاً، وبالكسر شاذ[1].

*الهبوط: من علو إلى سفل، أي يترل نزولا[2].

2/ معنى النزول في القرآن الكريم:

عرّف العلماء القرآن الكريم بقولهم: "كلام الله المترل على النبيّ محمد ﷺ المعجز بسورة منه، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المكتوب في المصحف"[3]، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[4].

ثمّ اختلفوا في معنى نزول القرآن الكريم على ثلاثة أقوال:

القول الأوّل : معنى نزول القرآن الكريم هو إظهار قراءته[5].

القول الثاني: هو إيحاء الله تعالى كلامه إلى جبريل عليه السلام وإفهامه إيّاه، مع تنزيه الله عز وجل عن المكان، ثمّ تعليمه قراءته قبل أن يهبط به إلى محمد ﷺ[6].

القول الثالث: معنى نزول القرآن الكريم هو الإعلام به[7].

فمهما اختلفت التعريفات إلاّ أنّها قد جمعت بين إيحاء التنزيل على النبيّ ﷺ ، وبين إظهار القراءة والإعلام بالقرآن الكريم.

---

(1) من مجمع اللغة العربية (مجموعة من المؤلفين)- المعجم الوسيط، ط04، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، 1425هـ-2004:ص 945.

(2) المقرّي- المصاح المنير: ص 356.

(3) أحمد محمد الفاضل- الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن، ط01، مركز الناقد الثقافي، دمشق، 2008م: ص 68.

(4) سورة القدر:الآية 01.

(5) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي- البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة:ج01/ص 229.

(6) المصدر نفسه: ج01/ص 229.

(7) محمد عبد العظيم الزرقاني- مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فوّاز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1410هـ-1990:ج01/ص 38.

ج/ معنى أسباب النزول.

بعد وقوفنا على المعنى اللغوي للسبب والنزول نتطرّق لمعرفة هذا المركب الإضافي في الاصطلاح، فقد عرّفه العلماء بتعريفات عديدة نذكر منها:

أ/ " هو ما نزلت الآيات أو الآية متحدّثة عنه أيام وقوعه"[1].

ب/ "هو ما نزل القرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال"[2].

ج/ "هو ما نزلت الآيات متحدّثة عنه أيام وقوعه ومبيّنه لحكمه"[3].

ومن التعريفات يتضح أنّ سبب النزول يقتصر على أمرين هما:

1/ ما لا يتوقف على سبب.

ويندرج تحته أكثر نصوص القرآن، فقد كانت تنزل ابتداء بالعقائد والشرائع من غير توقف على سبب يتطلب جوابا كواقعة أو سؤال، ذلك أنّ هذا القرآن إنّما أنزله الذي يعلم الإنسان خَلْقا وجبلة، ويعلم ما يحقق نفعه ومصلحته، فيبتدئه بالعلم والشرائع على الصفة التي يعلم من حاجته[4].

2/ ما ينزل لحادثة مخصوصة أو سؤال.

وهذا القسم بمنزلة الفتاوى في النوازل،والنوازل قضية معينة تنزل بالمسلمين أو بعضهم، فيوحي الله تعالى جوابها إلى نبيّه للفصل فيها، وتحت هذا تندرج أسباب نزول القرآن[5] من نحو الأمثلة التالية:"عن جندب بن سفيان رضي الله عنه، قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثا، فجاءت امرأة

---

(1) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي– أسباب نزول القرآن، تح : ماهر ياسين الفحل، 01، دار الميمان، المملكة العربية السعودية، 1426هـ–2005م: ص 39.

(2) مناع القطان–مباحث في علوم القرآن، ط11، دار مكتبة وهبة، القاهرة، 2000م:ص 74.

(3) الزرقاني– مناهل العرفان:ج01 /ص 89.

(4) عبد الله بن يوسف الجديع– المقدّمات الأساسية في علوم القرآن، ط01، مركز البحوث الإسلامية، بريطانيا ، 1422هـ–2001م: ص 43.

(5) المصدر نفسه: ص 43.

فقالت: يا محمد، إنّي أرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثا، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ [1]"[2].

ثانيا: فوائد معرفة أسباب النزول في تفسير القرآن الكريم.

لمعرفة أسباب النزول فوائد جليلة منها:

أ/ سبب النزول يعين على معرفة المراد وتعيينه، إذ قد ترد عليه احتمالات صحيحة من حيث هي، لكن سبب النزول يحدّد أحد هذه المعاني ويكون هو المراد دون غيره، قال ابن دقيق العيد: "بيان سبب النزول طريق قويّ في فهم معاني القرآن"[3] .

وقال ابن تيمية : "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإنّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب".[4]

ب/ الاستفادة منها في مجال التزكية والتربية والتعليم، فإدراك سبب النزول يعطي المربي فرصة كبيرة في التعامل مع الناس على ما هم عليه من الواقع المعاش وترشده إلى كيفية إثارتهم إلى القضية التي يريد أن يتحدث عنها، ببيان كيفية عناية الله بمن نزل فيهم قرآن من المؤمنين[5].

ج/ بيان الحكمة التي دعت إلى تشريع حكم من الأحكام وإدراك مراعاة الشرع، للمصالح العامة في علاج الحوادث رحمة بالأمة[6].

---

[1] سورة الضحى:الآيات 01-03.

[2] أخرجه محمد بن إسماعيل البخاري–الجامع الصحيح (كتاب تفسير القرآن، باب ما ودّعك ربك وما قلى،رقم:4901) تح: محمد الدين الخطيب، ط01، المكتبة السلفية، القاهرة: ج03/ ص 326. ومسلم بن الحجاج النيسابوري- صحيح مسلم (كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبيّ ﷺ من أذى المشركين والمنافقين،رقم:1797)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط01، دار الكتب العلمية: ج03/ ص 1421-1422.

[3] ينظر:مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار- المحرر في علوم القرآن، ط02، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الشاطبي، 1429هـ-2008م: ص 132.

[4] أحمد تقي الدين ابن تيمية مقدمة في أصول التفسير،ط 01،مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع،المملكة العربية السعودية–الرياض، 1432 : ص42.

[5] المصدر نفسه:ص 136.

[6] مناع القطان- مباحث في علوم القرآن:ص 75.

د/ معرفة أنّ سبب النزول غير خارج عن حكم الآية إذا ورد مخصص لها ، وذلك لقيام الإجماع على أنّ حكم السبب باق قطعا، تيسيرا للحفظ، وتسهيلا للفهم، وتثبيتا للوحي، في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها[1].

فمعرفة سبب النزول خير سبيل لفهم معاني القرآن، وكشف الغموض الذي يكتنف الآيات في تفسيرها ما لم يعرف سبب نزولها.

ثالثا: ترجمة أبي حيان الأندلسي:

يُعدّ أبو حيّان الأندلسي من أشهر المفسّرين، لهذا ارتأيت أن أذكر تعريفا موجزا لحياته.

أولا: حياة أبي حيان.

أ/ اسمه ولقبه:

اتفق المؤرخون على أنّ اسمه : محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ،الغرناطي أثير الدين أبو حيان الأندلسي ولقبه أثير الدين، باتفاق المؤرخين أيضا[2].

ب/ كنيته ونسبه:

ذهب جمهور المؤرخين إلى أنّ كنيته : أبو حيان و لم يشذ عن ذلك سوى ابن القاضي فقال: "أبو عبد الله الشهير بأبي حيان"، فقد اشتهر أبو حيان بهذه الكنية حتى غلبت عليه ولازمته أكثر من اسمه، كما أشار في التفسير إلى أنّه كان ينوي من هذه الكنية الاشتهار بها، حين قال: "...كما جرى في كنيتي بأبي حيان واسمي محمد"[3].

---

[1] الزرقاني- مناهل العرفان: ج01/ص 94-95.

[2] محمد بن علي الشوكاني-البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة: ج01/ ص 288.

[3] أحمد خالد شكري- أبو حيان الأندلسي ومنهجه في تفسيره البحر المحيط وفي إيراد القراءات فيه، ط01، دار عمار، عمان، 1428هـ-2007م: ص 11.

وقالوا في نسب أبي حيان : "الغرناطي، الأندلسي، النِّفَزي[1]، النحوي، الحياني[2]، الجيّاني[3]، الشافعي، الأثري، المغربي، المصري، القاهري، المالكي"[4].

ج/ مولده ونشأته:

ولد أبو حيان في أواخر شوال سنة أربع وخمسين وستمائة هجرية، وقد ذكر ذلك بنفسه في إجارته للصفدي فقال: "ومولدي بغرناطة في أخريات شوال سنة أربع وخمسين وستمائة، وهي توافق سنة ستّ وخمسين ومائتين وألف ميلادية، فولد بـــ ميطخشارس، وهي مدينة من حضرة غرناطة[5]، ونشأ في غرناطة في أواسط القرن السابع الهجري التي جدّدت النشاط في الحياة الفكرية والعلمية، فكانت موئل العلماء كافة في جميع العلوم والفنون[6].

د/ شيوخه وتلاميذه:

1/**شيوخه:** كان يرى رحمه الله –أبو حيان– أنّ التلقي هو المعلم الأوّل للإنسان، لذلك سمع الحديث بالأندلس وإفريقية والإسكندرية ومصر والحجاز من نحو أربعمائة وخمسين شيخا، نذكر بعضهم[7]:

– علي بن أحمد بن عبد الواحد عرف بابن البخاري توفي سنة 690هـــ.

– محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسن ولد في القدس وتوفي بها سنة 698هـــ.

– محمد بن يحي بن عبد الرحمان بن ربيع توفي سنة 741هـــ.

– أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن عاصم به تخرج أبو حيان وقرأ عليه توفي سنة 708هـــ[8].

---

[1] نسبة إلى نفرة: وهي قبيلة من قبائل البربر بالمغرب. ينظر: خالد شكري– أبو حيان الأندلسي ومنهجه: ص13.

[2] نسبة إلى جدّه الأكبر حيان، وهي مدينة واسعة بالأندلس تقع شرقي قرطبة، بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخا. ينظر: المصدر نفسه: ص 13.

[3] نسبة إلى مدينة جيان. ينظر: المصدر نفسه: ص 13.

[4] خالد شكري– أبو حيان الأندلسي ومنهجه في تفسيره : ص 12.

[5] المرجع نفسه: ص 13 – 14.

[6] بدر بن ناصر البدر– أبو حيان وتفسيره البحر المحيط، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1420هـــ–2000م: ص 19.

[7] محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي– تفسير البحر المحيط، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ عليل محمد معوض، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـــ–1993م: ج01/ص 32-33.

[8] خالد شكري– أبو حيان الأندلسي ومنهجه في تفسيره:ص 49-51.

2/**تلاميذه:** كان لأبي حيان أثر عظيم في الحركة العلمية في عصره، فقد خدم هذا الفن أكثر عمره حتى صار في أقطار الأرض غيره، فالتقى حوله التلاميذ ينهلون من علمه، نذكر منهم:

- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن مرزوق أبي عبد الله التلمساني ولد سنة 711هـ وتوفي سنة 731هـ.
- عبد الرحمان بن أحمد بن علي الواسطي ولد سنة 701هـ وتوفي سنة 781هـ.
- علي بن بلبان الفارسي ولد سنة 675هـ وتوفي سنة 750هـ.
- أبو عبد الله محمد بن سعيد بن محمد الرعيني السراج، ولد بفاس سنة 685هـ، وتوفي بها سنة 779هـ[1].

فلأبي حيان تلاميذ كثر، لا يسع المقام لحصرهم وأوصل عددهم إلى سبعة وسبعين تلميذا.

هـ/ **مصنفاته:** أسهم أبو حيان في الحركة العلمية التي كانت تسود عصره بكتب عديدة تنوّعت موضوعاتها، وتعدّدت أغراضها، فصنف في التفسير والقراءات وفي الفقه و النحو، وفي الصرف والأدب، وفي اللغة والتاريخ، بل كتب في اللغات الأخرى، كما قسّمت كتبه إلى كتب مطبوعة ومخطوطة، وأخرى مفقودة[2].

قال التاج السبكي: "إنّ الناس أكبوا على كتبه ولا تقتصر مصنفاته على النحو فحسب، بل تتناول علوم القرآن والحديث"[3].

فمن أشهر مصنفاته:

1/ **التفسير:** البحر المحيط، النهر المادة اختصره أبو حيان من البحر.

2/ **القراءات:** عقد اللآلي في القراءات السبع العوالي، النافع في قراءة نافع.

3/ **اللغة:** الإدراك للسان الأتراك، منطق الخرس في لسان الفرس.

4/ **الفقه:** الإعلام بأركان الإسلام، الوهاج في اختصار المنهاج[4].

---

[1] بدر بن ناصر– أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: ص 45-52.

[2] المرجع نفسه :ص 55- 59.

[3] أبو حيان الأندلسي– تفسير البحر المحيط:ج01/ص 40.

[4] المصدر نفسه: ج01/ص 40 – 42.

فقد ترك لنا أبو حيان ثروة عظيمة من المؤلفات الكثيرة، والفنون والأساليب المتنوعة، التي تعدّ مراجع مهمة في فنونها.

و/ مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

اتفق العلماء الذين ترجموا لأبي حيان الأندلسي على مدحه والثناء عليه وعلى علمه وتصانيفه.

حيث مكث أبو حيان بمصر فترة غير يسيرة يتلقى العلم عن أكابر علماء عصره، ولم يتقدّم للتدريس إلاّ بعد وفاة شيخه ابن النحاس، وذلك سنة 698هـ، فانفجرت ينابيع الحكمة والعلم من جنابته، وازدحم طلبة العلم على مجلسه، كيف لا وهو نحوي عصره ولغويه، ومفسره، ومحدّثه ومقرئه، ومؤرخه، وأديبه[1]، فهذه أقوال بعض العلماء فيه:

قال الأدفوي: "كان يفخر بالبخل كما يفخر الناس بالكرم، وكان ثبتا صدوقا، حجة سالم العقيدة من البدع الفلسفية، ومال إلى مذهب أهل الظاهر، وإلى محبة علي بن أبي طالب، كثير الخشوع والبكاء عند قراءة القرآن، وكان شيخا طوالا حسن النعمة، مليح الوجه، ظاهر اللون، مشربا بحمرة منوّر، كبير اللحية، مسترسل الشعر"[2].

وكان أبو حيان واسع الاطلاع، ومتبحرا في العلوم، حتى قال تلميذه الصفدي: وهو إمام الدنيا في النحو والتصريف لم يذكر معه في أقطار الأرض غيره في العربية، وله اليد الطولى في التفسير، والحديث والشروط، والفروع، وتراجم الناس، وتواريخهم، وحوادثهم خصوصا المغاربة"[3].

وقال الشوكاني: "الإمام الكبير في العربية والتفسير تبحر في اللغة العربية والتفسير، وفاق الأقران وتفرد بذلك في جميع أقطار الدنيا و لم يكن بعصره من يماثله"[4].

وقال أيضا: "كان عريّا من الفلسفة، والاعتزال، والتجسيم على نمط السلف الصالح"[5].

---

[1] خالد شكري – أبو حيان الأندلسي ومنهجه في تفسيره: ص 23.

[2] أثير الدين أبي الحيان الأندلسي– تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، تح: سمير المجدوب، ط01، المكتب الإسلامي، بيروت، 1403هـ-1983م: ص 29.

[3] خالد شكري –أبو حيان الأندلسي ومنهجه في تفسيره: ص 23.

[4] الشوكاني– البدر الطالع :02/ ص 288.

[5] المصدر نفسه: ج02/ص 291.

وبالتالي فقد أثنى على الإمام أبي حيان كل من لقيه وأخذ عنه ونهل من منهله.

ز/ وفاته:

وبعد حياة طويلة قضاها الإمام الجليل أبو حيان الأندلسي في البحث، والتحصيل، والعلم والتعليم والتصنيف والتأليف انتقل إلى ربّه، بعد أن فقد بصره، وكانت وفاته عشية يوم السبت الثامن والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة للهجرة، في القاهرة، وكان يناهز إحدى وتسعين سنة، وكانت جنازته حافلة، ودفن من الغد خارج باب النضر، بتربة الصوفة، وصلّى عليه في الجامع الأموي بدمشق صلاة الغائب في شهر ربيع الآخر[1].

رابعا: التعريف بكتابه البحر المحيط ومنهجه فيه.

أ/ التعريف بكتاب البحر المحيط:

من أجل ما صنف أبو حيان رحمه الله، تفسيره "البحر المحيط"، الذي يعدّ عند أهل العلم المرجع الأوّل والأهمّ في تفسير القرآن الكريم، لمن يريد أن يقف على وجوه الإعراب لألفاظ القرآن الكريم، يتكلم على المعاني اللغوية للمفردات، ويذكر أسباب النزول والناسخ والمنسوخ، والقراءات الواردة مع توجيهها كما أنّه لا يفضل الناحية البلاغية في القرآن، ولا يهمل الأحكام الفقهية عندما يمر بآيات الأحكام، مع ذكره لما جاء عن السلف، ومن تقدّم من الخلف[2].

ولذلك فالكتاب لا يستغني عنه باحث، ولا ينبغي أن تخلو منه مكتبة عالم.

ب/ منهجه فيه:

لقد حرص أبو حيان على تبيين معالم منهجه في التفسير في مقدّمته، متحدثا عن طريقة عرضه لتفسير كتاب الله العظيم، فقال:"وترتيبي في هذا الكتاب أني أبتدئ أولا بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظة فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب، وإذا كان

---

[1] بدر بن ناصر– أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: ص 63.

[2] أبو حيان الأندلسي– البحر المحيط: ج01/ ص 03.

للكلمة معنيان أو معان ذكرت ذلك في أول موضع فيه تلك الكلمة لتنظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه فيحمل عليه"[1]. وقد كان منهجه رحمه الله فيه كالتالي:

1/ الكلام على مفردات الآيات في ابتداء كل سورة:

كان رحمه الله يتكلم على مفردات الآية التي يريد تفسيرها لفظة لفظة، وذلك بما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية لتلك اللفظة قبل التركيب، وإذا كان للكلمة معنيان أو معان ذكرت ذلك في أول موضع فيه فيحمل عليه[2].

2/ الكلام على أسباب النزول:

قال أبو حيان: "ثمّ أشرع في تفسير الآية ذاكرا سبب نزولها، إذا كان لها سبب"، وهذا العلم المسمى بأسباب النزول من العلوم الهامة للمفسر، فإن لم يكن على بصيرة منه وقع في خطأ عظيم"[3].

3/ الناسخ والمنسوخ:

ثمّ يشرع أبو حيان رحمه الله في بيان الناسخ والمنسوخ لأنّ معرفة الناسخ من المنسوخ من العلوم الهامة التي يجب أن يكون المفسر على دراية واعية كاملة بها، وإلاّ تخبط تخبطا يحط من شأنه وشأن المتكلم فيه[4].

4/ الكلام على تناسب الآيات:

وبعد أن يذكر سبب أو أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، يبيّن مناسبة الآية، فكان أبو حيان معتنيا بذكر مناسبة الآية وارتباطها بما قبلها[5].

---

(1) المصدر السابق: ج01/ص 103.

(2) بدر بن ناصر– أبو حيان وتفسيره : ص 61.

(3) أبو حيان الأندلسي– البحر المحيط: ص ج01/ ص 59.

(4) المصدر نفسه: ج01/ص 59.

(5) ينظر: خالد شكري – أبو حيان الأندلسي ومنهجه في تفسيره: ص 135.

5/ ذكر القراءات وتوجيهها:

كان منهج أبي حيان في تفسيره للقراءات، أنّه التزم في تفسيره إيراد القراءات المستعملة والشاذة وتبيين ما تحتمله هذه القراءات من المعاني، قال في مقدمة التفسير: حاشدا فيها القراءات شاذها ومستعملها ذاكرا توجيه ذلك في علم العربية[1].

[1] خالد شكري – أبو حيان الأندلسي ومنهجه في تفسيره: ص 130.

الفصل الأوّل:

منهج أبي حيان الأندلسي

في توظيفه لأسباب النزول.

لا شك أن معرفة علم سبب النزول يعين الوقوف على المعنى الصحيح للآية، ورفع الإشكال الذي يكتنفها، فلذلك اعتنى بها العديد من العلماء، والحق أن عناية أبي حيان الأندلسي بأسباب النزول دليل على التفطن العميق، لما لها من قيمة علمية لفهم كتاب الله، فمن هنا ارتأينا بأن يكون الفصل الأوّل بإذن الله، كدراسة لمنهج أبي حيان الأندلسي في توظيفه لأسباب النزول ويشتمل هذا الفصل على مبحثين:

المبحث الأوّل: صيغ اعتماد أسباب النزول عند العلماء عامَّة.

المبحث الثاني: توظيف أبي حيان لأسباب النزول القرآني.

المبحث الأوّل:

صيغ اعتماد أسباب النزول عند العلماء عامة.

لما كان أسباب النزول القرآني مما يتلقى بالرواية خلفاً عن سلف، وأنّه ليس مما يدرك بالنظر والاجتهاد، فإنّ المفسرين قد اعتمدوا عليه كطريقة وأسلوب خاص في فهم كتاب الله تعالى وتفسيره ، ومن هنا ارتأيت قبل أن أذكر موقف أبي حيان وتعامله مع أسباب النزول أن أذكر نموذجين متقدمين من علماء التفسير اعتمادا في تفسيرهما أسباب النزول والصيغ التي وظفوها في ذلك سبقا أبي حيان وهما الزمخشري وابن جزي، أحدهما من المعتزلة والآخر من أهل السنة، حتى يبرز لنا في النهاية و بشكل واضح منهج أبي حيان التفسيري .وسيشتمل هذا المبحث على مطلبين وهما :

المطلب الأوّل: موقف الزمخشري من أسباب النزول.

المطلب الثاني: موقف ابن جزي من أسباب النزول.

المطلب الأوّل: موقف الزمخشري من أسباب النزول.

الناظر في كتاب الكشاف للزمخشري يجد أنّ له منهجاً خاصاً في تعامله مع أسباب النزول ويمكن بيانه في النقاط التالية:

أ/إسناد الرواية إلى أصحابها مسبوقة بصيغة التضعيف:

يورد الزمخشري في تفسيره أسباب النزول مسبوقة بلفظة (قيل) أو(روي) [1]، أي لا يعزو الآية إلى أصحابها ويوردها غفلا من رواتها فيقول مثلا في الآية: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ ﴾ [2] قيل كان أهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله أفلا يطعمنا، فيكونون كلاّ على النّاس فنزلت فيهم[3]. ويقول في الآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾[4]، روي أن عبد الله بن جحش حين قتلوا الحضرمي، ظنّ قوم أنهم انسلموا من الإثم فليس لهم أجر فنزلت[5].

من خلال ما تقدّم يتبيّن أنّ الزمخشري قليلا ما يفصل بين الآراء ونادرا ما يعلّق على رواية سبب النزول.

ب/ عدم الترجيح بين الآراء:

تميز الزمخشري بقلة تعقيبه على الأخبار التي يرويها في أسباب النزول، فقليلاً ما يفصل برأي بين الآراء في مناسبة النزول[6] ويرجح بينها تاركا المسألة محتملة لكل الوجوه ، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا

---

[1] مصطفى الصّاوي الجويني–منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، ط02، دار المعارف، مصر، 1968م: ص 154.

[2] سورة البقرة: الآية:197.

[3] أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود، ط01، مكتبة العبيكان، الرياض، 1418 ه -1998 م: ج01/ص425.

[4] سورة البقرة: الآية 218.

[5] الزمخشري – الكشاف: ج01/ص 425.

[6] مصطفى الصّاوي الجويني– منهج الزمخشري: ص 155.

تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾[1]. قال الزمخشري: قيل "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب: أنت أعظم النّاس عليّ حقّاً، وأحسنهم عندي يداً فقل كلمة تجب لك بها شفاعتي، فأبى، فقال: لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنه فنزلت، وقيل لما افتتح مكة سأل أي أبويه أحدث به عهداً؟ فقيل: أمك آمنة، فزار قبرها بالأبواء ثم قام مستعيراً فقال: إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار، فلم يأذن لي، فنزلت، وهذا أصح، لأن موت أبي طالب كان قبل الهجرة، وهذا آخر ما نزل في المدينة"[2].

ج/الاختصار والتصرف بالحذف والزيادة:

كان الزمخشري يورد أسباب النزول بشكل مختصر وتصرف، فتارة بالحذف والزيادة، وتارة برواية قصة سبب النزول بالمعنى، وهو في كل ذلك لا يخلو أن يكون متأثراً بمواقف سابقة من القصة، والمعنى الذي يريد أن يوجه إليه الآية، مما أوقعه في تحميل بعض الآيات من المعاني البعيدة والفاسدة التي كان ينبغي أن يتنزه تفسيره عنها[3].

من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾[4].

---

[1] سورة التوبة: الآية 113.

[2] أخرجه البخاري – الجامع الصحيح – (كتاب الجنائز، باب إذ قال المشرك عند الموت: لا إله إلاّ الله،رقم: 1360، وأطرافه: 3884-4675-4772-6681):ج01/ص417.ومسلم – صحيح مسلم – (كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة من حضره الموت، رقم:29):ج01/ص 54.

[3] رمضان يخلف – موازنة بين الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة، كلية أصول الدّين والشريعة والحضارة الإسلامية، قسم الكتاب والسنة، 1422ه-2001م: ص 208.

[4] سورة الأحزاب: الآية 37.

قال الزمخشري: "أمسك عليك زوجك أي زينب بنت جحش رضي الله عنها، وذلك أن رسول الله ﷺ أبصرها بعدما أنكحها إياه، فوقعت في نفسه، فقال: سبحان مقلب القلوب، وذلك أن نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ولو أرادتها لاختطبها وسمعت زينب التسبيحة فذكرتها لزيد، ففطن وألقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله ﷺ [1]، فقال رسول الله ﷺ: إنّي أريد أن أفارق صاحبتي، فقال: مالك: أرابك منها شيء؟ قال: لا والله، ما رأيت منها إلاّ خيراً، ولكنّها تتعظم علي في شرفي وتؤذيني، فقال له: أمسك عليك زوجك، واتّق الله، ثم طلقها بعد، فلمّا اعتدت قال رسول الله ﷺ: ما أجد أحداً أثق في نفسي منك، أخطب على زينب، قال زيد: فانطلقت فإذا هي تخمر عجينتها، فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها، حين علمت أن رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري وقلت يا زينب، أبشري إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك، ففرحت وقالت: ما أنا صانعة شيئاً حتى أؤامر ربّي، فقامت إلى مسجدها ، ونزل القرآن[2].

د/تقديم تفسير الآية على سبب النزول على خلاف الأصل:

كان الزمخشري في بعض الأحيان يورد سبب النزول مقدماً على تفسير الآية، وذلك على خلاف ما هو معتمد عليه بتقديم سبب النزول لإيضاح معنى الآية، ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾ [3].

قال الزمخشري: "النفل: الغنيمة، لأنها من فضل الله تعالى، وعطائه والنفل ما ينفله الغازي: يعطاه زائداً على سهمه من المغنم، وهو أن يقول الإمام تحريضاً على البلاد في الحرب: من قتل قتيلاً

---

(1) الزمخشري – الكشاف: ج05/ص 71.

(2) المرجع نفسه: ج05/ص 71.

(3) سورة الأنفال: الآية 01.

فله سلبه، وعن سعيد ابن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: سورة الأنفال، قال: نزلت في بدر"[1][2].

هـ /ذكر سبب النزول على سبيل التفسير والشرح:

أحياناً يورد الزمخشري سبب النزول على أنّه تفسير للآية فيكون السبب بمثابة الشرح للآية القرآنية، ومثال ذلك ما ورد في تفسيره لمقدمة سورة الحشر لقوله تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢ ﴾[3].

قال الزمخشري: "صالح بنو النضير رسول الله ﷺ على أن لا يكونوا عليه ولا له، فلما ظهر يوم بدر قالوا: هو النبيّ الذي نعته في التوراة لا نزد له راية، فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا، فخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكباً إلى مكة فحالفوا عليه قريشاً عند الكعبة فأمر عليه السلام محمد بن مسلمة الأنصاري فقتل كعباً غيلة وكان أخاه من الرضاعة، ثم صحبهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم: أخرجوا من المدينة، فقالوا: الموت أحب إلينا من ذلك، فتنادوا الحرب[4].

وعليه نخلص مما أوردناه أنّ الصيغ التي اعتمدها الزمخشري في عرضه لأسباب النزول كالآتي:

---

[1] أخرجه البخاري – الجامع الصحيح – (كتاب تفسير القرآن، باب قوله "يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرّسول، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم"، رقم:4645): ج03/ص 232. ومسلم – صحيح مسلم – (كتاب التفسير، باب في سورة براءة والأنفال، والحشر، رقم:3031): ج4 0/ص 2322.

[2] الزمخشري – الكشاف: ج02/ص 549-550.

[3] سورة الحشر: الآيتان: 01-02.

[4] الزمخشري – الكشاف: ج06/ص 73.

- إسناد الرواية مسبوقة بصيغة التضعيف.
- عدم الترجيح بين الآراء.
- الاختصار والتصرف بالحذف والزيادة.
- تقديم تفسير الآية على سبب النزول على خلاف الأصل.
- ذكر سبب النزول على سبيل التفسير والشرح.

المطلب الثاني: موقف ابن جزي من أسباب النزول.

كنا قد رأينا سابقاً موقف الزمخشري من أسباب النزول وأوردنا أهم الصيغ التي اعتمدها في ذلك، وسنتناول في هذا المطلب موقف ابن جزي من أسباب النزول.

إنّ الناظر في تفسير ابن جزي يجد أنّه يدعو إلى ضرورة اعتماد أسباب النزول في التفسير، يقول: "وأمّا الحديث فيحتاج المفسر إلى روايته وحفظه وذلك أنّ كثيراً من الآيات في القرآن نزلت في قوم مخصوصين ونزلت بأسباب قضايا وقعت في زمن النبيّ صلى الله عليه وسلم من الغزوات والنوازل والتساؤلات"[1].

وبالعودة إلى كتابه التسهيل نجد جملة من الصيغ وظّفها في ذلك أسباب النزول وهذا بيانها:

أ/الاختصار في ذكر سبب النزول على سبيل الإشارة:

من الصيغ المعتمدة عند ابن جزي في ذكره لأسباب النزول الاختصار في رواية الأسباب اختصاراً شديداً "وقد يشير إلى السبب إشارة عابرة وهذه ظاهرة عامة في جميع موضوعات التفسير تقريباً، وهي تتعلق بالناحية الشكلية لتفسيره، وتتصل بطريقته في كتابه للتفسير أكثر من تعلقها بالناحية الموضوعية"[2]. فعند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾[3].

يقول ابن جزي: "سببها أنّ قوماً أسلموا وأرادوا الهجرة فثبطهم أزواجهم وأولادهم عن الهجر فحذّرهم الله من طاعتهم في ذلك "[4]. فهكذا أورد ابن جزي هذا السبب.

---

(1) أبو القاسم محمد محمود بن أحمد بن جزّي الكلبي – التسهيل لعلوم التنزيل، ط 01، دار الكتب ا لعلمية، بيروت –لبنان، 1410ه-1990م: ج 01/ص 11.

(2) علي محمد الزبيري – ابن جزي ومنهجه في التفسير، ط 1 0، دار القلم، دمشق، 1407ه-1987م: ج01/ ص 416.

(3) سورة التغابن: الآية 14.

(4) ابن جزي– التسهيل لعلوم التنزيل: ج02 /ص 453.

ب/ توظيف أسباب النزول في الترجيح بين الآراء:

وظف ابن جزي الكثير من أسباب النزول التي قد يكون سندها صحيح وبالتالي فيكون "سبب النزول الصحيح عنده أداة من أدوات الترجيح التي يستعملها في تفسيره[1]".

ففي قوله تعالى من سورة التحريم: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤ ﴾[2].

فلفظ المولى هنا يحتمل معنيين كما يقول ابن جزي:

1- أن يكون بمعنى السيّد الأعظم، وعلى هذا المعنى يحسن الوقوف على قوله تعالى (مولاه) ويكون (جبريل) مبتدأ و (ظهير) خبره وخبر ما عطف عليه[3].

2- أن يكون بمعنى الولي الناصر، فيكون (جبريل) معطوف فيوصل مع ما قبله ويوقف على صالح المؤمنين ويكون (الملائكة) مبتدأ أو (ظهير خبر)[4].

فنجد ابن جزي يرجح المعنى الأخير،ومما يرجح به هذا المعنى سبب النزول حيث يقول في المعنى الثاني: "أن معنى الناصر أليق بهذا الموضوع، فإن ذلك كرامة للنبيّ ﷺ وتشريف له[5]".

والملاحظ هنا أنّ لفظ المولى بمعنى الناصر هو المعنى الراجح، ومما جعل ابن جزي يرجح المعنى الثاني اقتصاره على سبب نزوله.

ج/ذكر سبب النزول لكونه يتعارض مع القول بعموم الآية:

نبّه ابن جزي في غالب الأحوال بعد ذكره للسبب "إلى أنّ الآية عامة بعد ذلك أو هي مع ذلك على عمومها أو نحو ذلك من الألفاظ، وهذا مسلك صحيح لا غبار عليه، فيذكر في بعض السبب قولاً

---

(1) الزّبيري – ابن جزي ومنهجه في التفسير: ج01/ص 418.

(2) سورة التحريم: الآية 04.

(3) ابن جزي–التسهيل لعلوم التنزيل: ج01/ص 38.

(4) المصدر نفسه: ج01/ص 38.

(5) الزّبيري – ابن جزي ومنهجه في التفسير: ج01/ص 420.

في الآية، ويذكر كونها عامّة قولاً آخر فيما يوحي بأنّ ذكر السبب يتعارض مع القول بالعموم في الآية"[1].

فعند قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾[2].

يقول ابن جزي: "قيل نزلت في الأخنس بن شريف فإنه أظهر الإسلام ثم خرج فقتل دواب المسلمين وأحرق لهم زرعاً، وقيل في المنافقين، وقيل هي عامة في كل من كان على هذه الصفة"[3].

د/ذكر أكثر من سبب مع عدم الترجيح:

يذكر ابن جزي في غالب الأحيان أكثر من سبب لنزول الآية، لكنّه لا يرجح من بين الأسباب إلاّ قليلاً، وهذا يعني أنّه مع الرأي القائل:بتعدد الأسباب للآية الواحدة، إذ يصادف في عهد النبوة أن تقع أكثر من حادثة في أوقات متقاربة، أو سأل أكثر من سائل في أمر واحد معين فتنزل الآية مبينة الحكم في تلك الحادثة أو الحوادث، أو مجيبة على ذلك التساؤل فهي تعم كل ما يشبه سبب نزولها[4]. فعند قوله تعالى: ﴿ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨٨﴾ ﴾[5]. يسوق لنا ابن جزي في سبب نزولها روايتين عن صحابيين جليلين فيقول:

1/ قال ابن عباس : "ما لكم ولهذه؟ إنما دعا النبيُّ صلى الله عليه وسلم اليهود فسألهم عن شيء، فكتموه إيّاه، وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ثم

---

(1) المرجع السابق:ج01/ص430.

(2) سورة البقرة: الآية 204.

(3) ابن جزي– التسهيل لعلوم التنزيل: 01/ص 104.

(4) الزّبيري – ابن جزي ومنهجه في التفسير: ج01/ص 424.

(5) سورة آل عمران: الآية188.

قرأ ابن عباس (وإذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب) كذلك حتى قوله (يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا)" [1].

2/ وقال أبو سعيد الخدري :"أنّ رجالاً من المنافقين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانوا إذا خرج النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى الغزو تخلّفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا قدم النبيُّ صلى الله عليه وسلم اعتذروا إليه وحلفوا"وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) [2].

ويلاحظ أن الروايتين اللتين ذكرهما صحيحتان ثابتتان في الصحيحين.

"ومما يؤخذ على ابن جزي في هذا المجال أيضاً إيراده لبعض أسباب النزول الواهية أسانيدها، بل قد أورد من أسباب النزول في تفسيره ما عدّه العلماء من الموضوعات، وقد يعتبر صنيعه هذا من أخطر ما في كتابه، ولا يعتبر وجود هذه الأسباب الواهية أو الموضوعة في كثير من كتب التفسير مسوّغاً لأن يورها في تفسيره لأن ذلك تقليد ضار، لا يليق به"[3].

وبناء ما تقدم أن ابن جزي اعتمد في توظيفه لأسباب النزول على الصيغ التالية:

- الاختصار في ذكر سبب النزول على سبيل الإشارة.
- توظيف أسباب النزول في الترجيح بين الآراء.
- ذكر سبب النزول لكونه يتعارض مع القول بعموم الآية.
- ذكر أكثر من سبب مع عدم الترجيح.

---

[1] أخرجه البخاري – الجامع الصحيح – (كتاب تفسير القرآن، باب لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا،رقم:4568): ج03/ص 213. ومسلم – صحيح مسلم – (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، رقم:2778): ج04/ص 2143.

[2] أخرجه البخاري – الجامع الصحيح (كتاب تفسير القرآن، باب لا تحسبنّ الذين يفرحون بما أتوا، رقم:4567): ج03/ص 213. ومسلم – صحيح مسلم (كتاب صفات المنافقين وأحكامها، رقم:2777): ج04/ص 2142.

[3] الزّبيري – ابن جزي ومنهجه في التفسير: ج01/ص 424.

المبحث الثاني:

توظيف أبي حيان لأسباب النزول القرآني.

إن بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن، فالعلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، فلذلك وظف أبو حيان الأندلسي أسباب النزول القرآني، وأودعها في كتاب "البحر المحيط" وفق منهجه في التفسير، ومن هنا ارتأينا الوقوف على مسلك أبي حيان الأندلسي في عرضه لأسباب النزول القرآني، مع إبراز أهم القواعد التي تطرق لها، ويشتمل هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الأوّل: مسلك أبي حيان في عرض أسباب النزول القرآني.

المطلب الثاني: قواعد أسباب النزول القرآني عند أبي حيان.

المطلب الأوّل: مسلك أبي حيان في عرض أسباب النزول القرآني.

لقد اعتنى أبو حيان بأسباب النزول متأسياً بمن سبقه من أئمة التفسير، بإيراد المرويات التي وقف عليها في أسباب نزول القرآن الكريم، وعرضها بأسلوبه الخاص عند تفسير الآيات المتعلقة بها، فكان منهجه يقوم على ما يأتي:

أ/ذكر سبب النزول عقب شرح المفردات:

كان أبو حيان مهتماً بذكر سبب النزول، وكان يبدأ بعد شرح مفردات الآية[1]، ومثل ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِ ﴾[2] قال: "نزلت على سؤال قوم من المسلمين النبي صلى الله عليه وسلم، عن الهلال وما فائدة محاقه، وكماله، ومخالفته لحال الشمس، قاله ابن عباس وقتادة والربيع وغيرهم، وروي أن من سأل هو معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاري قالا: يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط، ثم يزيد حتى يمتلئ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ، لا يكون على حال واحدة، فنزلت[3]"[4].

وعليه فموقف أبي حيان الأندلسي من أسباب النزول يبرز في مقدمة "البحر المحيط" حيث قال: "ثم أشرع في تفسير الآية ذاكراً سبب نزولها إذا كان لها سبب"[5].

كما أورد الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله في سبب نزول هذه الآية الكريمة سبع روايات، منها هذه الرواية التي ذكرها أبو حيان.

---

(1) خالد شكري- أبو حيان الأندلسي ومنهجه في تفسيره: ص 132.

(2) سورة البقرة: الآية 189.

(3) أخرجه البخاري- الجامع الصحيح (كتاب التفسير، باب وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل) فيه عن براء عن النبي صلى الله عليه وسلم، رقم:1917 - والحديث طرفه في 3511): ج02/ ص 35. و مسلم – صحيح مسلم (كتاب الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر ودخول وقت صلاة الصبح، رقم: 1090): ج02/ ص 766.

(4) أبو حيان الأندلسي- تفسير البحر المحيط :ج02/ ص69.

(5) المصدر نفسه: ج01/ ص 59.

قال الطبري: "ذكر أن رسول الله ﷺ سئل عن زيادة الأهلة ونقصانها، واختلاف أحوالها، فأنزل الله هذه الآية جواباً لهم فيما سألوا عنه، قال قتادة: سألوا نبي الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك لما جعلت هذه الأهلة؟ فأنزل الله فيها ما تسمعون:

﴿ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ ﴾[1] فجعلها لصوم المسلمين ولإفطارهم، ولمناسكهم وحجهم، ولعدة نسائهم، ومحل دينهم، وفي أشياء والله أعلم بما يصلح خلقه"[2].

ب /حذف الإسناد مع الإحالة على المصدر:

اعتمد أبو حيان في عرضه لأسباب النزول على حذف الأسانيد في مروياته طلباً للاختصار، والاكتفاء بالإحالة على المصادر المشهورة والمعتمدة في هذا الجانب، وهذا ما درج عليه في تعامله مع أغلب ما أورده أسباب النزول[3]، فمن ذلك ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾[4].

قال: "روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن أنس قال: قال رجل يا رسول الله من أبي؟: قال: أبوك فلان، ونزلت الآية[5]"[6].

وبالتالي فإن أبا حيان كان يوثق سبب نزول الآية فيضيفها إلى مصدرها إذ يعزو سبب النزول إلى كتب الحديث الواردة فيها.

---

(1) سورة البقرة: الآية 189.

(2) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري – تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع: ج03/ ص 280-282.

(3) رمضان يخلف – موازنة بين الكشاف والبحر المحيط: ص 217.

(4) سورة المائدة: الآية 101.

(5) أخرجه البخاري – الجامع الصحيح (كتاب تفسير القرآن، باب لا تسألوا عن أشياء إن تبد تسؤكم، رقم:4621): ج03/ص 225-226.

و مسلم – صحيح مسلم (كتاب الفضائل، باب توقيره صلى الله عليه وسلم، وترك إكثار السؤال عما لا ضرورة إليه، رقم:134): ج04/ ص 1832.

(6) أبو حيان الأندلسي – تفسير البحر المحيط: ج04/ ص 34.

ج /الاقتصار على أكثر من سبب لنزول الآية:

لم يقتصر أبو حيان على سبب نزول واحد لبعض الآيات، إنما يذكر أكثر من سبب للنزول، ويذكرها جميعاً[1]، كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[2].

قال: "ذكوا في سبب نزول الآية أقاويل، أحدها: أنها نزلت في الأنصار وكانوا حلفاء لليهود وبينهم جوار ورضاعة وكانوا يودون لو أسلموا، وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون يودون إسلام من بحضرتهم من أبناء اليهود لأنهم كانوا أهل كتاب وشريعة، وقيل نزلت فيمن بحضرة النبي من أبناء السبعين الذين كانوا مع موسى عليه السلام في الطور، فسمعوا كلام الله فلم يمتثلوا أمره وحرفوا القول في أخباهم لقولهم، وقيل: نزلت في علماء اليهود الذين يحرفون التوراة فيجعلون الحلال حراماً والحرام حلالاً اتباعاً لأهوائهم "[3].

فذكر أبو حيان لجميع أسباب نزول الآية، دليل على عمق عنايته بهذا العلم المبارك.

د /الميل للإيجاز والاختصار:

كان أبو حيان يتحاشى الإسهاب والتطويل الذي درج عليه بعض من المفسرين، وكان من باب الأمانة العلمية يبين في كل موضع ما نقله نصاً وما نقله اختصاراً، وهو في كل هذا الانتقاء والاختصار إنما يقتصر على ما يراه أنه الأصح والأشهر عند أهل العلم[4].

من ذلك ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾[5].

---

(1) خالد شكري – أبو حيان ومنهجه في تفسيره: ص 133.

(2) سورة البقرة: الآية 75.

(3) أبو حيان الأندلسي – تفسير البحر المحيط: ج01/ ص 438.

(4) رمضان يخلف – موازنة بين الكشاف والبحر المحيط: ص 218.

(5) سورة المائدة: الآية 87.

قال: "ذكروا سبب نزولها في قصة طويلة ملخصها أن جماعة من الصحابة عزموا على التقشف المفرط والعبادة الدائمة من الصيام الدائم، وترك إتيان النساء واللحم والودك[1] والطيب ولبس المسوح[2] والسياحة في الأرض وحب المذاكير[3] فنهاهم الرسول عن ذلك، فنزلت"[4].

مما يؤيد سبب نزول هذه القصة قوله صلى الله عليه وسلم: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلّي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[5].

ومن هنا وجدنا أن أبا حيان قد يذكر سبب النزول ملخصاً، وذلك وفق الانتقاء والاقتصار على ما يراه متفقاً عند العلماء وابتعاده عن الإطناب.

هـــ/الاعتناء بأوّل ما نزل وآخر ما نزل:

اعتنى أبو حيان بجمع الروايات الواردة في أسباب النزول، لكل آية لها سبب نزول، واعتبره من العوامل المساعدة في تفسير الآية.

فعند تعرضه لأسباب النزول فإنه لا يكتفي بذكر سبب الآيات، بل يعتني بأوّل ما نزل وآخر ما نزل، كما يعتني بنزول سورة بأكملها إن كان في ذلك أخبار[6]، فمن ذلك ما صدر به سورة العلق، فقال: "هذه السورة مكية، وصدرها أوّل ما نزل من القرآن، وذلك في غار حراء، على ما ثبت في صحيح البخاري[7]".

---

(1) دسم اللحم ودهنه. ينظر: البخاري – الجامع الصحيح: ج02/ ص 1018.

(2) ثياب الرهبان. ينظر: البخاري – الجامع الصحيح: ج02/ ص 1018.

(3) القطع. ينظر: البخاري – الجامع الصحيح: ج02/ ص 1018.

(4) أخرجه البخاري – الجامع الصحيح (كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح،رقم:5063): ج03/ ص 354. ومسلم – صحيح مسلم (كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤمن بالصوم، رقم: 1401):ج02/ ص 1018.

(5) أبو حيان الأندلسي – تفسير البحر المحيط:ج04/ ص 10.

(6) بوشعيب محمادي- أبو حيان ومنهجه في تفسير القرآن الكريم،ط01، مطبعة الخليج العربي، تطوان،1428ه-2007م: ص279.

(7) أخرجه البخاري- الجامع الصحيح (كتاب تفسير القرآن،رقم: 4953): ج03/ ص 327.

و الملاحظ أن أسلوب أبا حيان في عرض أسباب النزول يتمثل في استقصاءه ما قيل في كثير من الآيات واقتصاره على أوّل وآخر ما نزل، فهذا دليل على اهتمامه بموضوع أسباب النزول القرآني.

و/سرد قصص سبب النزول:

إذا جاء سبب النزول في قصة طويلة، فإن أبا حيان قد يذكرها بطولها[1]، كما في قولـــه تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٍ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَـٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ ﴾[2].

قال: "روى البخاري وغيره عن ابن عباس قال: كان تميم الداري[3] وعدي يختلفان إلى مكة فخرج معهما فتى من بني سهم فتوفي بأرض ليس فيها مسلم، فأوصى إليهما، فدفعا تركته إلى أهله وحبسا جاماً[4] من فضة مخوصاً بالذهب، فاستحلفهما، وفي رواية: فحلفهما بعد العصر النبي ﷺ ما كتمتما ولا اطلعتما ثم وجد الجام بمكة، فقالوا: اشتريناه من عدي وتميم، فجاء الرجلان من ورثة السهمي فحلفا أن هذا الجام للسهمي، ولشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا، قال: فأخذ الجام، وفيهم نزلت الآية"[5][6] والملاحظ في طريقة سرد قصص سبب النزول لأبي حيان، أنه يذكرها بطولها، خلافاً للمفسرين الذين يتسمون بالاختصار والتصرف في رواية قصة سبب النزول.

---

(1) أحمد خالد شكري- أبو حيان الأندلسي ومنهجه في تفسيره: ص 134.

(2) سورة المائدة: الآية 106.

(3) تميم بن أوس بن خارجة الداري، أبو رقية، أسلم سنة تسع، وسكن بيت المقدس، توفي سنة أربعين.

(4) جاماً من فضة: الجام: إناء من فضة عربي صحيح وجمع الجام جامات.

(5) أخرجه البخاري- الجامع الصحيح (كتاب الوصايا، باب قوله عز وجل "يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية" سورة المائدة الآية: 106-107،رقم: 2780):ج02/ص 299. ومحمد بن عيسى بن سورة الترميذي- سنن الترميذي (كتاب تفسير القرآن، باب "ومن سورة المائدة،رقم:3060) تح: أبو عبيد آل سلمان، ط01، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض: ص 685-686. وأبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني- سنن أبي داود كتاب القضاء، باب شهادة أهل الذمة، والوصية في السفر،رقم:3202) تح: أبو عبيدة آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع، الرياض: ص 647.

(6) أبو حيان الأندلسي – تفسير البحر المحيط: ج04/ ص 42.

ز/ذكر الآية إن لم يرد لها سبب نزول:

إن لم يرد في الآية سبب نزول، فإن أبا حيان يذكر ذلك أحياناً[1]، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾[2]. فقال: "الآية لم يؤثر فيها سبب نزول سمعي"[3].

فدلالة كلامه هذا أن أسباب النزول يعتمد فيها النقل الصحيح والسماع عمن عاصروا التنزيل، وشافهوا صاحب الرسالة ﷺ[4].

وعليه فلقد اعتنى أبو حيان ببيان أسباب نزول الآيات القرآنية عناية فائقة.

ومن خلال دراسة ما تقدم، يتضح أن مسلك أبي حيان الأندلسي في عرض أسباب النزول القرآني يقوم على المنهج الآتي:

- ذكر سبب النزول عقب شرح المفردات.
- حذف الإسناد مع الإحالة على المصدر.
- الاقتصار على أكثر من سبب لنزول الآية.
- الميل للإيجاز و الاختصار
- الاعتناء بأوّل ما نزل وآخر ما نزل.
- سرد قصص سبب النزول.
- ذكر الآية إن لم يرد لها سبب نزول.

---

(1) خالد شكري- أبو حيان الأندلسي ومنهجه في تفسيره: ص 134-135.

(2) سورة البقرة: الآية 35.

(3) أبو حيان الأندلسي- تفسير البحر المحيط: ج01/ ص 306.

(4) بوشعيب محمادي- أبو حيان ومنهجه: ص 275.

المطلب الثاني: قواعد أسباب النزول القرآني عند أبي حيان.

سعى العلماء رحمهم الله إلى وضع قواعد خاصة بكل علم من العلوم، وهي مبثوثة في كتبهم يمكن الوصول إليها بعد التتبع التمحيص، فنجد من بين هذه العلوم، علم أسباب النزول والذي يعتبر من أهم علوم القرآن، وله جملة من القواعد، أقتصر على البعض منها، وذلك بالوقوف على كيفية توظيف أبي حيان الأندلسي للقواعد المتعلقة بأسباب النزول القرآني، من خلال تفسيره، وهي على النحو الآتي:

أ/ **القاعدة الأولى**: أن تكون الروايات صحيحة، و لم تكن صريحة:

قد تتعدد الروايات في سبب النزول القرآني للآية الواحدة، فإذا كانت الروايات صحيحة، و لم تكن الصيغ الواردة فيها صريحة مثل: "نزلت هذه الآية في كذا" وعبر آخر "أحسبها نزلت في كذا"، فلا منافاة بينهما، إذ المراد التفسير، لا سبب النزول، إلاَّ إذا اقترنت بقرينة على واحد بأن المراد بها السببية[1].

ومثال ذلك ما قاله أبو حيان عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾[2] قال: "قال مجاهد وغيره: نزلت فيمن أراد التحاكم إلى الطاغوت، وقيل في شأن الرجل الذي خاصم الزبير في السقي بماء الحرة[3] وأن رسول الله ﷺ قال: اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك، فغضب وقال: أن كان ابن عمتك، فغضب الرسول ﷺ واستوعب للزبير حقه فقال: أحبس يا زبير الماء حتى يبلغ الجدر[4]، ثم أرسل الماء[5]"[6].

---

(1) مناع القطان- مباحث في علوم القرآن: ص 83.

(2) سورة النساء: الآية 65.

(3) مسيل الماء. ينظر: البخاري – الجامع الصحيح: ج04/ ص1827.

(4) حواجز الماء بين شربات النخل، ليصل الماء إلى أصول النخل. ينظر: البخاري – الجامع الصحيح: ج04/ ص1827.

(5) أخرجه البخاري-الجامع الصحيح كتاب (الشرب والمساقاة، باب سكر الأنهار، رقم:2359-2360 -والحديث طرفه في: 2361،2362،2708،4575): ج02/ص 164. ومسلم – صحيح مسلم (كتاب الفضائل، باب وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم، رقم:2357): ج04/ ص1827.

(6) أبو حيان الأندلسي – تفسير البحر المحيط: ج03/ ص 205.

كما روى الطبري في تفسيره عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [1].

قال: "هذا الرجل اليهودي والرجل المسلم اللذان تحاكما إلى كعب بن الأشرف"[2].

وقال: "وهذا القول أعني قول من قال: أعني به المحتكمان إلى الطاغوت اللذان وصف الله شأنهما في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾[3] أولى بالصواب، لأن قوله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم)، في سياق قصة الذين ابتدأ الله الخبر عنهم بقوله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾، ولا دلالة تدل على انقطاع قصتهم، فإلحاق بعض ذلك ببعض ما لم تأت دلالة على انقطاعه أولى"[4].

وعلى هذا فإن معرفة سبب النزول أمر خاص بالصحابة رضوان الله عليهم، فإن الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا فإنه حديث مسند[5].

قال ابن تيمية رحمه الله: "وقد تنازع العلماء في قول الصحابي: نزلت هذه الآية في المتن كذا وكذا، هل يجري مجرى المسند كما يذكر السبب الذي أنزلت لأجله، أو يجري مجرى التفسير منه الذي ليس بمسند، فالبخاري يدخله في المسند، وغيره لا يدخله في المسند، وأكثر المساند على هذا الاصطلاح، كمسند أحمد وغيره، بخلاف ما إذا ذكر سبباً نزلت عقبه فإنهم كلهم يدخلون مثل في هذا المسند"[6].

---

[1] سورة النساء: الآية 65.

[2] الطبري – جامع البيان: ج07/ ص 204.

[3] سورة النساء: الآية 60.

[4] الطبري –جامع البيان: ج07/ص204-205.

[5] الحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ النيسابوري- معرفة علوم الحديث، تح: حسين معظم، ط02، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،1397ه- 1939م : ص 20.

[6] ابن تيمية- مقدمة في أصول التفسير: ص 37.

وعليه فالثغرة التي تلحظ من قول ابن تيمية رحمه الله، في مقدمة أصول التفسير أن قول الصحابي: نزلت هذه الآية في كذا فالبخاري يدخله في ضمن المسند بخلاف غيره لا يدخله في المسند كمسند أحمد.

ب/القاعدة الثانية: أن تكون الروايات الصحيحة، إحدى صيغها غير صريحة.

إذا كانت الروايات الصحيحة إحداها غير صريحة، كأن تقول: "نزلت في كذا" وصرح الآخر بذكر سبب مخالف، فالصريح هو المعتمد، وذلك استنباط[1].

فمثال ذلك ما ذكره أبو حيان في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ ﴾[2]، قال: "في البخاري ومسلم: أن اليهود كانت تقول في الذي يأتي امرأته في دبرها في قبلها أن الولد يكون أحول، فنزلت[3].

و قيل سبب ذلك أن بعض الصحابة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: هلكت! فقال: وما الذي أهلكك؟ قال: حولت رحلي الليلة فنزلت"[4].

و عليه هذه الرواية الصريحة معتمدة في السببية، لذلك نجد أبا حيان يذكرها ويقدمها على غيرها، فهذا دليل بأنها المعتمدة لديه.

ج/القاعدة الثالثة: الأخذ بالرواية الصحيحة وترك الضعيفة.

أن تكون إحدى الروايتين صحيحة والأخرى غير صحيحة، فالمعتمد عليه في السبب هي الرواية الصحيحة وترك الضعيفة[5].

---

(1) السيوطي- الإتقان: ج10/ ص 32.

(2) سورة البقرة: الآية 223.

(3) أخرجه البخاري- الجامع الصحيح (كتاب تفسير القرآن، باب "نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم"، رقم:4526- والحديث طرفه في 4527-4528): ج02/ ص 180. ومسلم – صحيح مسلم (كتاب النكاح، باب جواز جماع امرأته في قبلها، من قدامها ومن ورائها، من غير تعرض للدبر،رقم: 1435): ج2/ ص 1058.

(4) أبو حيان الأندلسي – تفسير البحر المحيط: ج02/ ص 180.

(5) محمد محمد أبو شهبة – المدخل لدراسة القرآن الكريم، ط02، دار اللواء للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية-الرياض، 1407ه-1987م: ص 146.

مثال ذلك ما ذكره أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾[1].

قال: "في صحيح مسلم من حديث النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أعمر المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم، فزجرهم عمر، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وهو يوم الجمعة، ولكني إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيت رسول الله ﷺ فيما اختلفتم فيه، فنزلت هذه الآية، وذكر ابن عطية قوله وأقوالاً أخرى في سبب النزول، كلها تدل على الافتخار بالسقاية والعمارة"[2][3].

ومن هذه الأقوال التي ذكرها ابن عطية في تفسيره، قال ابن عطية: "وقال ابن عباس والضحاك: إن المسلمين عيروا أسرى بدر بالكفر فقال العباس: بل نحن سقاة الحاج وعمرة البيت فنزلت الآية في ذلك، وقال مجاهد: أمروا بالهجرة فقال العباس أنا أسقي الحاج وقال عثمان بن طلحة أنا حاجب للكعبة فلا نهاجر فنزلت ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾[4]"[5].

فالرواية الصحيحة التي ذكرها أبو حيان هي المعتمدة.

---

[1] سورة التوبة: الآية 19.

[2] أخرجه مسلم – صحيح مسلم (كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، رقم: 1879): ج03/ ص 1499.

[3] أبو حيان الأندلسي – تفسير البحر المحيط: ج05/ ص 22.

[4] سورة التوبة: الآية 19.

[5] أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- تح: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، ط02، دار الخير، الدوحة،1428ه-2007م: ج04/ ص 279-280.

كما تناول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في مقدمة تفسيره "التحرير والتنوير" تقصير القدامى في هذا الباب، قال: "ولكني لا أعذر أساطين المفسرين الذين تلقوا الروايات الضعيفة، فأثبتوها في كتبهم و لم ينبهوا على مراتبها قوة وضعفاً، حتى أوهموا كثيراً من الناس أن القرآن لا تنزل آياته إلاَّ لأجل حوادث تدعوا إليها، وبئس هذا الوهم، فإن القرآن جاء هادياً إلى ما به صلاح الأمة في أصناف الصلاح، فلا يتوقف نزوله على حدوث الحوادث الداعية إلى تشريع الأحكام "[1].

د/القاعدة الرابعة: أن تكون كلتا الروايتين صحيحة، ولإحداهما مرجح.

إذا استوت الروايتان في الصحة، ورجحت إحداهما على الأخرى، لكون الراوي حاضر القصة أو نحو ذلك من وجوه الترجيحات، قدمت الرواية الصحيحة[2].

والمثال على ذلك ما ذكره أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[3].

فقال: "في الصحيح من حديث ابن مسعود أنه قال: إني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة وهو متكئ على عسيب، فمر بنا ناس من اليهود فقال: سلوه عن الروح فقال بعضهم: لا تسألوه فسيفتيكم بما تكرهون فأتاه نفر منهم فقالوا: يا أبا القاسم ما تقول عن الروح؟ فسكت ثم ماج فأمسكت بيدي على جبهته، فعرفت أنه يترل عليه (ويسئلونك عن الروح)، وروي أن اليهود قالوا لقريش سلوه عن الروح، وعن فتية فقدوا في أول الزمان، وعن رجل بلغ شرق الأرض وغربها، فإن أجاب في ذلك كله لم يجب في شيء فهو كذاب، وإن أجاب في بعض ذلك وسكت عن بعض فهو نبي، وفي بعض طرق هذا إن فســـر الثلاثة فهو كذاب، إن سكت عن الروح فهو نبي، فترل في الـــروح

---

(1) محمد الطاهر بن عاشور- تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م: ج01/ ص 46.

(2) محمد الفاضل – الاتجاه العلماني المعاصر: ص 284.

(3) سورة الإسراء: الآية 85.

﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾، والظاهر من حديث ابن مسعود أن الآية مدنية ومن سؤال قريش أنها مكية"[1][2].

فإذا كانت إحدى الروايتين أصح من الأخرى، أو يكون الراوي حاضر القصة فالحكم أن نأخذ في السبب بالرواية الراجحة دون المرجوحة[3].

ومن العلماء من يرون تكرار نزول الآية، للإجابة على نفس السؤال، فقد أجاب على ذلك مناع القطان فقال:" ولو صح أن الآية مكية وقد نزلت جواباً على سؤال فإن تكرار السؤال نفسه بالمدينة لا يقتضي نزول الوحي بالجواب نفسه مرة أخرى، بل يقتضي أن يجيب الرسول ﷺ بالجواب الذي نزل عليه من قبل"[4].

هـــ/القاعدة الخامسة: تعدد الأسباب والنازل واحد.

أن تكون روايتان متعارضتان، كل منهما نص في سبب النزول، وهما مستويتان في الصحة، ولا مرجح لإحداهما، لكن يمكن الجمع بينهما، بأن كلاً من السببين حصل مع تقارب زمانيهما، ونزلت الآية عقب حصولهما، فإنه يحمل الأمر على تعدد السبب والنازل واحد[5].

---

(1) أخرجه البخاري– الجامع الصحيح (كتاب تفسير القرآن، باب "ويسئلونك عن الروح" رقم:4721): ج03/ ص 252-253. و مسلم – صحيح مسلم- (كتاب صفات المنافقين، باب سؤال اليهود النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح، 2794): ج04/ ص 2152.

(2) أبو حيان الأندلسي – تفسير البحر المحيط-: ج06/ ص 74.

(3) ينظر: محمد أبو شهبة – المدخل لدراسة القرآن الكريم: ص 146.

(4) مناع القطان – مباحث في علوم القرآن: ص 85.

(5) أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني – العجاب في بيان الأسباب ،تح: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، ط10، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان، 1422ه – 2002م: ص 26.

والمثال على ذلك ما ذكره أبو حيان في تفسيره لسورة النور فقال: "وكان رسول الله ﷺ على حد هلال بن أمية حين رمى زوجته بشريك بن سمحاء، فنزلت ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ ﴾[1] واتضح أن المراد من الآية غير الزوجات، والمشهور أن نازلة هلال[2] قبل نازلة عويمر[3] وقيل نازلة عويمر قبل"[4].

ونلاحظ أن أبا حيان لم يرجح إحدى الروايتين على الأخرى، بل أشار إليهما في السببية، كما رجح حادثة هلال قبل حادثة عويمر فهذا هو المشهور كما قال.

و/ القاعدة السادسة: نقد الروايات الضعيفة.

كان أبو حيان يشتد في نقد الروايات الضعيفة، إن كان بعضها يعارض الصحيح منها، أو يمس معقولاً، أو حكماً قام عليه دليل نصاً أو دلالة[5].

والمثال على ذلك ما ذكره أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ﴾[6].

فقال: "قال علي بن الحسن: كان قد أوحى الله إليه أنَّ زيداً سيطلقها، وأنه يتزوجها بتزويج الله إياه، فلما شكا زيد خلقها وأنها لا تطيعه، وأعلمه بأنه يريد طلاقها، قال له: أمسك عليك زوجك واتق الله، على طريق الأدب والوصية، وهو يعلم أنه سيطلقها، وهذا هو الذي أخفى في نفسه ولم يرد أن

---

(1) سورة النور: الآية 06.

(2) هلال بن أمية الأنصاري الواقفي: من بني واقف، شهد بدراً، وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، فنزل فيهم القرآن، قوله عز وجل: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ ، سورة التوبة: الآية 118. ينظر: أبو حيان الأندلسي- تفسير البحر المحيط: ج06/ص 398.

(3) عويمر بن الحارث بن زيد بن حارثة بن الجلد العجلاني: هو الذي رمى زوجته بشريك بن سمحاء، وذلك في شعبان سنة تسع من الهجرة، وكان قدم تبوك فوجدها حبلى، ثم قال بعد ذلك: وعاش ذلك المولود، ثم مات. وعاشت أمه بعده يسير. ينظر: أبو حيان الأندلسي- تفسير البحر المحيط: ج06/ص 398.

(4) أبو حيان الأندلسي- تفسير البحر المحيط: ج06/ص 398.

(5) بوشعيب محمادي- أبو حيان ومنهجه: ص 280.

(6) سورة الأحزاب: الآية 37.

يأمره بالطلاق، ولما علم من أنه سيطلقها، وخشي رسول الله ﷺ أن يلحقه قول من الناس، في أن يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه وقد أمره بطلاقها، فعاتبه الله على هذا القدر في شيء قد أباحه الله بأن قال أمسك، مع علمه أنه يطلق فأعلمه أن الله أحق بالخشية، أي في كل حال[1]"[2].

ثم يعلق بقوله: "وهذا المروي عن علي بن الحسين هو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين كالزهري وبكر بن العلاء والقشيري والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم، والمراد بقوله(وتخشى الناس) إنما هو إرجاف المنافقين في تزويج نساء الأبناء، والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم في حركاته وسكناته ولبعض المفسرين كلام في الآية يقتضي النقص في منصب النبوة ضربنا عنه صفحا"[3].

فهذا العرض المتعلق بقواعد أسباب النزول القرآني، يوضح منهج أبي حيان في التشديد على نقد الروايات الضعيفة إذا كانت تعارض الصحيحة، ومدى انتقاده لمسلك العديد من المفسرين في عرضهم للروايات الباطلة.

ز/القاعدة السابعة: تعدد النزول في سبب واحد.

قد يتعدد ما ينزل والسبب واحد، ولا شيء في ذلك، فقد ينزل في الواقعة الواحدة آيات عديدة في سورة شتَّى[4].

ومثال ذلك ما ذكره أبو حيان في قوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾ [5]، فقال: "روي أن أم سلمة قالت: يا رسول

---

(1) أخرجه البخاري- الجامع الصحيح- (كتاب تفسير القرآن، باب"وتخفي ما في نفسك ما الله مبديه، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه"،رقم:478 ، والحديث طرفه في: 7420): ج03/ ص 278.

ومسلم – صحيح مسلم- (كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش، ونزول الحجاب، وإثبات وليمة العرس، رقم: 1428): ج02/ ص 1048.

(2) أبو حيان الأندلسي – تفسير البحر المحيط: ج07/ ص 226.

(3) المصدر نفسه: ج07 /ص 226.

(4) مباحث في علوم القرآن – مناع القطان: ص 87.

(5) سورة آل عمران: الآية 195.

الله قد ذكر الله الرجال في الهجرة و لم يذكر النساء في شيء من ذلك، فنزلت، ونزلت آيات في معناها فيها ذكر النساء"[1][2].

فهنا يشير أبو حيان أن هناك آيات، قد تعدد نزولها مع وحدة سببها.

ك/القاعدة الثامنة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

إن العلاقة بين أسباب النزول والعموم قد أورثت عدداً من القواعد، وكان من أشهرها قاعدة:"العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"[3].

فإذا اتفق ما نزل مع السبب في العموم، أو اتفق معه في الخصوص، حمل العام على عمومه والخاص على خصوصه[4]، فلذلك نجد أبا حيان يصرح بذلك في مواضع عدة ومنها ما قاله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ ﴾[5].

فقال: "هذا ثاني نداء وقع في سورة البقرة، بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ ولفظه عام، قال الحسن: نزلت في كل من حرَّم على نفسه شيئاً لم يحرمه الله عليه، وروى الكلبي ومقاتل وغيرهما أنها نزلت في ثقيف وخزاعة وبني الحارث بن كعب، قاله النقاش، وقيل في ثقيف وخزاعة، وعامر بن صعصعة، وقيل بني مدلج حرَّموا على أنفسهم من الحرث والأنعام وحرَّموا البحيرة والسوائب والوصيلة والحالم، فإن صح هذا كان السبب خاصاً واللفظ عاماً، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"[6].

---

[1] أخرجه الترميذي –سنن الترميذي (كتاب تفسير القرآن، باب "ومن سورة النساء"،رقم:3023): ص 676. والحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري- المستدرك على الصحيحين (كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأحزاب،رقم:3560-697)، تح: مصطفى عبد القادر عيطا، ط02، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1422ه-2002م: ج02/ ص 451-452.

[2] أبو حيان الأندلسي – تفسير البحر المحيط: ج03/ ص 150.

[3] مساعد الطيار – المحرر في علوم القرآن: ص 13.

[4] سليم بن عيد الهلالي- الاستيعاب في بيان الأسباب، ط01، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1465ه: ج01/ ص 09.

[5] سورة البقرة: الآية 168.

[6] أبو حيان الأندلسي – تفسير البحر المحيط: ج01/ ص 652.

و من خلال ما تقدم في هذا النص دلالة على أن أبا حيان يقول بالقاعدة المشهورة "**العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب**".

فإذا رجعنا إلى الكشاف للزمخشري في تفسيره للآية، سنجده يعالجها من الناحية اللغوية والإعرابية والقراءات، دون أن يذكر سبب نزولها باللفظ ولا بالمعنى.

قال: "حلالاً" مفعول "كلوا"، أو حال مما في الأرض، "طيباً" طاهراً من كل شبهة، أو تحريم حلال، أو تحليل حرام، و"من" للتبعيض، لأن كل ما في الأرض ليس بمأكول، وقرئ"خطوات" بضمتين، و"خطوات" بضمة وسكون، و"خطوات"بفتحتين، والخطوة: المرة من الخطو، والخطوة ما بين قدمي الخاطي"[1].

وعليه فالقائلون بأن العبرة بعموم اللفظ لا يعنيهم من نزل فيه الخطاب بقدر ما يعنيهم المعنى الذي يعممونه، أما القائلون بأن العبرة بخصوص السبب فيعنيهم بالدرجة الأولى من نزل فيه الخطاب، لأنه هو المقصود الأوّل به[2].

بناء على ما تقدم من قواعد أسباب النزول القرآني عند أبي حيان نخلص أن منهجه فيه يقوم على ما يأتي:

- إذا كانت الروايات صحيحة، و لم تكن صريحة، فالمراد بها التفسير وليس سبب النزول.
- إذا كانت الروايات الصحيحة، إحدى صيغها غير صريحة، فالصريح هو المعتمد.
- الأخذ بالرواية الصحيحة وترك الضعيفة.
- أن تكون كلتا الروايتين صحيحة، ولإحداهما مرجح.
- تعدد الأسباب والنازل واحد.
- نقد الروايات الضعيفة.
- تعدد النزول في سبب واحد.
- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

---

(1) الزمخشري – الكشاف: ج01/ ص 355-356.

(2) مساعد الطيار- المحرر في علوم القرآن: ص 137-138.

ومن خلال ما بيناه في هذا الفصل من دراسة لصيغ أسباب النزول عند الزمخشري وابن جري، وبعد الوقوف على مسلك أبي حيان الأندلسي في عرض أسباب النزول القرآني مع إبراز أهم القواعد التي تطرق إليها، يتضح تفوق أبي حيان على الزمخشري وابن جزي، وتقدمه عليهما، سواء في دقة النقل والأمانة العلمية في الإحالة على مصادره في مروياته، أو في حسن توظيفه لأسباب النزول القرآني، وبالتالي فمسلكهما لم يكن أحسن صنيع منه، فمثال ذلك ما أدرجناه سابقاً لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾ [سورة البقرة: الآية 167]، فأبو حيان قد عرج عليها من خلال ذكر سبب نزولها وأنها تحمل القاعدة المشهورة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، أما الزمخشري فإذا عدنا إليه في تفسير الآية الكريمة نجده يعالجها من الناحية اللغوية والاعرابية والقراءات دون ذكر سبب نزولها.

كما أن ابن جزي في أغلب الأحيان يذكر أكثر من سبب لنزول الآية، لكنه لا يرجح من بين الأسباب، على خلاف أبي حيان فقد يرجح نزولا على نزول بالنظر إلى النقل الصحيح أو النظر إلى القصة الواقعة، فهذا دليل على عمق عنايته بعلم أسباب النزول القرآني واستقصائه ما قيل في كثير من الآيات القرآنية.

وسنقتصر في الفصل القادم على ذكر الآيات التي كان لمعرفة أسباب نزولها أثر واضح في تفسيرها، سواء كانت مسائل خاصة بالعقيدة أو العبادات وآيات تتعلق بالإحسان وأحكام النكاح والطلاق.

الفصل الثاني:

أثر أسباب النزول

في تفسير أبي حيان الأندلسي

-نماذج من سورة البقرة-

تناول العلماء أحوال النزول وأثره في فهم المعنى من خلال أسباب النزول وما تحمل من أسرار التشريع، فهي تعين الداعي إلى الحق على مراحل الدعوة والتوجيهات الإلهية، فمن هنا ارتأينا بأن يكون الفصل الثاني بإذن الله مشتملا على الأسباب المؤثرة في التفسير من خلال سورة البقرة، وبيان أثرها في التفسير، وسأتناول فيه أربع عشر آية من سورة البقرة كان لها أثر واضح في تفسير تلك الآيات مع بيان الأثر، ويشتمل على مبحثين:

- **المبحث الأوّل**: أثر أسباب النزول في آيات العقيدة والعبادات عند أبي حيان.
- **المبحث الثاني**: أثر أسباب النزول في آيات الإحسان وأحكام النكاح والطلاق عند أبي حيان.

المبحث الأوّل:

أثر أسباب النزول في آيات العقيدة والعبادات عند أبي حيان.

لقد اهتمّ العلماء بعلم أسباب النزول القرآني، لأهميته الكبرى في معرفة تفسير الآيات التي نزلت على أسباب معينة على وجهها الصحيح، بل إنّ كثيرا من الآيات النازلة على أسباب يستحيل معرفة المراد منها من غير أن يقف المفسّر على أسباب نزولها، فمن هنا ارتأينا إلى بيان أثر أسباب النزول لبعض الآيات المتعلقة بالجانب العقدي، ومسائل خاصة بالعبادات في تفسير أبي حيان الأندلسي ويشتمل هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الأوّل: آيات تتعلق بالعقيدة.

المطلب الثاني: آيات تتعلّق بالعبادات.

المطلب الأوّل: آيات تتعلق بالعقيدة.

تعدّ العقيدة الإسلامية الركن الركين في الدين الإسلامي، وهي أوّل ما يتحمّله المسلم من الواجبات الدينية، وبقدر ما تكون صحيحة وسليمة فإنّه يتولّد عنها أثر يظهر في السلوك، وقد وجدت في القرآن الكريم آيات كثيرة تخص أحكام العقيدة الإسلامية، وبعض هذه الآيات مقترن بأسباب النزول لا يمكن فهمها بمعزل عن سبب نزولها، باعتبار هذا الأخير من الطرق والوسائل التي يعتمد عليها المفسّرون في فهم نصوص الشارع الحكيم، فسبب النزول قد يوضح الغامض ويكشف عن حقيقة الآية، لذلك نجد كثيرا من الآيات التي تحمل في طياتها مسائل عقدية، يكون لأسباب النزول أثر واضح في فهمها، وسأقتصر على بعض الآيات التي تلامس موضوع العقيدة.

لا شكّ أنّ إحياء التراث الإسلامي الذي يتضمن الفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية، ضرورة ملحة وخاصة في وقتنا هذا الذي نلمس فيه معالم يقظة إسلامية في شتّى أنحاء البلاد الإسلامية، وعليه فلابدّ لهذه الأمّة من مفاهيم سليمة ومعالم صحيحة في طريق عودتها إلى الله تبيّن لها المنهج السليم في فهم الأصل الذي تبنى عليه جميع الأعمال، والقاعدة الأساسية لبناء المجتمع الإسلامي السليم هي العقيدة الصحيحة، هذه الأخيرة أن تكون مستمدة من الفهم الصحيح لكتاب الله وسنّة رسوله[1]، ومن هذه الأمثلة التي تضمنت أحكام العقيدة الإسلامية نذكر الآيات التالية:

[1] ينظر: مقدمة محقق كتاب أبو سعيد بن سعيد الدارمي السجستاني – نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد المرسي، تح: رشيد بن حسن الألمعي، ط01، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، 1418هـ-1998م: ج01/ص 08.

أ/ **الآية الأولى:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧ ﴾[1].

إنّ هذه الآية الكريمة إذا أُوّلت على ظاهرها، دون الوقوف على سبب نزولها، فإنّ مفهومها يقتضي عموم الكفار، زيادة على ذلك أنّهم جميع مختوم على قلوبهم، وأسماعهم وأبصارهم، ومغشي عليها، كما ختم الآية باستحقاقهم جميعا العذاب العظيم، ولكن تجد في الواقع أنّ كثيرا من الكفار قد دخلوا الإسلام، فالتفسير المذكور مخالف للواقع، وهو إشكال وقعت فيه ملابسات نتيجة سوء فهم الآية.

ولكن بعد الوقوف على سبب نزولها يزول الإشكال، قال أبو حيان: "المراد بها أشخاص معينون من الكفرة سبق في حكم الله أنّهم لا يؤمنون[2]، فقد روي عن أبي العالية قال: "نزلت هاتان الآيتان: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧ ﴾ في قادة الأحزاب، وهم الذين قال الله فيهم : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ۝٢٨ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ۝٢٩ ﴾[3]"[4].

من خلال هذا السبب يتبيّن أنّ الآيتين في صفة الكفار الذين يموتون كفارا[5]، وأنّ الآية ليست على عمومها بل هي على الخصوص، فمن حقّت عليه كلمة العذاب وسبق في علم الله أنّه يموت على

---

(1) سورة البقرة: الآيتان 06-07.

(2) أبو حيان الأندلسي – تفسير البحر المحيط: ج01/ ص 173.

(3) سورة إبراهيم: الآيتان 28-29.

(4) ابن كثير – تفسير القرآن العظيم: ج01/ص 276-277.

(5) أحمد بن عبد الحكيم بن تيمية – الإيمان الأوسط ، تح: أبو يحي محمود أبو يس، ط01، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض – السويدي، 1422هـ: ص 10.

كفره[1]، فمن هذا زال الغموض الذي سبق طرحه في مستهلّ الآية، وذلك بموافقة القرطبي أبي حيان في هذا المعنى.

ب/ الآيـــة الثـــانية: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩ ﴾[2].

إنّ أحبار اليهود كانت تفتري على الله الكذب، فقد كتبوا التوراة والإنجيل بأيديهم، ونسبوا ذلك إلى الله تعالى رغبة منهم في الدنيا، وفي كسب أموال الناس بالباطل، ففضحهم الله تعالى ووعدهم بالعذاب الأليم في الآخرة والخزي والذلّة في الدنيا، أمّا المراد بالويل في الآية الكريمة:واد سائل في جهنم من قيح و صديد للذين كفروا بالله وجحدوا وحدانيته[3].

هذه الآية الكريمة سياقها الظاهر يدلّ على أنّ المقصود هنا هم اليهود، لكن يبقى الغموض يكتنف الآية، ألا وهو ما المراد بالكتاب الذي يكتبونه بأيديهم؟ ولا يتسنّى لنا معرفة ذلك إلاّ بعد الوقوف على سبب نزولها.

ففي تفسير مجاهد قال: "عمدوا إلى ما أنزل الله عزّ وجل في كتابه من بعث محمّد ﷺ، فحرّفوه عن مواضعـــه يبتغون بذلك عرضا من عرض الدنيا، فقـــال الله عز وجل: ﴿ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩ ﴾"[4].

أمّا أبو حيان فقال: "الآية قيل نزلت في الذين غيروا صفة رسول الله ﷺ، وبدّلوا نعته، فجعلوه آدم بسطا طويلا، وكان في كتابهم على الصفة التي هو بها فقالوا لأصحابهم وأتباعهم انظروا إلى صفة هذا النبيّ الذي يبعث في آخر الزمان ليس يشبه نعت هذا، وكانت الأحبار من اليهود يخافون أن يذهب

---

(1) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي – الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السنّة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط01، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1427هـــ-2006م: ج01/ ص 281.

(2) سورة البقرة: الآية 79.

(3) الطبري – تفسير الطبري :ج21/ص559.

(4) أبو الحجاج مجاهد بن جعبر التابعي المكي القرشي المخزومي – تفسير مجاهد، تح: محمد عبد السلام، أبو الميل، ط01، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، 1410هـــ-1989م : ص 208.

مأكلتهم بإبقاء صفة النبيّ ﷺ على حالها، فلذلك غيّروها، وقيل: نزلت في الذين لم يؤمنوا بنبيّ و لم يبتغوا كتابا، بل كتبوا بأيديهم كتابا وحلّلوا فيه ما اختاروا، وحرموا ما اختاروا وقالوا: هذا من عند الله. وقيل: خاف ملوكهم على ملكهم إذا آمن من الناس كلهم فجاءوا إلى أحبار اليهود فجعلوا لهم عليهم وضائع ومآكل وكشطوها من التوراة، وكتبوا بأيديهم كتابا وحللوا فيه ما اختاروا، وحرّموا ما اختاروا"[1].

فزيادة على ما تقدّم من روايات لأسباب نزول الآية الكريمة فقد أخرج البخاري في صحيحه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب وكتابهم الذي أنزل على نبيّه صلى الله عليه وسلم أحد الأخبار بالله [2] تقرءونه لم يُشبت [3] وقد حدّثكم الله أنّ أهل الكتاب بدّلوا ما كتب الله وغيّروا بأيديهم الكتاب فقالوا فيول للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثمّ يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، أفلا ينهاكم بما جاءكم من العلم عن مساءلتهم؟ ولا والله ما رأينا منهم رجل قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم"[4].

من خلال ما تقدّم يتبيّن من سبب النزول، أنّ المراد بكتابهم الكتاب بأيديهم هو نسب ما كتبوه من التوراة والإنجيل إلى الله عز وجل ويوهموا بأنّه من عنده، مقابل ثمن يأخذونه ولو كان زهيدا، كما بدّلوا صفة النبيّ ﷺ وطمسوا نعته، فلولا الوقوف على سبب النزول لما أمكن من الوصول إلى المعاني المرادة منها.

---

[1] أبو حيان الأندلسي – تفسير البحر المحيط: ج01/ ص 443.

[2] أي آخر رسالات الله وأكملها. ينظر: البخاري – الجامع الصحيح: ج02/ ص 263.

[3] امتاز الإسلام بأنّ كتابه حفظ من زمن نزوله، فبقي نصّه أصدق نصوص الديانات على وجه الأرض لم تشبه شائبة.

[4] أخرجه البخاري – الجامع الصحيح (كتاب الشهادات، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها، رقم:2685، والحديث أطرافه في: 7363-7522-7523): ج02/ ص 263.

ج/ **الآية الثالثة:** ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[1].

هذه الآية الكريمة من خلال سياقها الذي وردت فيه أنّها نزلت في اليهود، الذين نقضوا عهد الله وخالفوه، بل بادروا إلى تكذيب كتاب الله وبيان موقفهم من بعثة النبيّ ﷺ، لكن مع هذا نلمس إشكالا لا نستطيع معرفة جوابه إلاّ بعد وقوفنا على سبب نزولـــه، وهو ما المراد بقولـــه تعالى: ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ ؟

فقد ذكر القرطبي سبب نزول الآية فقال: "عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فكلما التقوا، هزمت يهود خيبر، فعادت اليهود بهذا الدعاء: اللهم إنّا نسألك بحق محمد النبيّ الأميّ الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان ألاّ نصرتنا عليهم. قال: فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان، فلما بعث الله النبيّ ﷺ كفروا به فأنزل الله تعالى : ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ أي: بك يا محمد، إلى قوله تعـــالى: ﴿ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [2] "[3].

قال أبو حيان: "نزلت في اليهود حين كانت غطفان تقاتلهم، وتهزمهم أو حين كانوا يلقون من العرب من أذى كبير، أو حين حاربهم الأوس والخزرج فغلبتهم"[4].

---

[1] سورة البقرة : الآية 89.

[2] أخرجه النيسابوري – المستدرك على الصحيحين (كتاب التفسير، باب من سورة البقرة، رقم: 3032): ص 289.

[3] القرطبي – الجامع لأحكام القرآن: ج02/ ص 248 – 249.

[4] أبو حيان الأندلسي – تفسير البحر المحيط: ج01/ ص 471.

ويؤيّد هذا الذي ذهب إليه أبو حيان، ما روي عن ابن عباس أنّ المراد بقوله تعالى في هذه الآية الكريمة هو استنصار اليهود بالنبيّ ﷺ على عدوّهم، الدليل على ذلك إذا دهمهم العدوّ وقالوا: اللهم انصرنا عليهم بالنبيّ المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة[1].

ولّما هزمت خيبر غطفان، وبعث النبي ﷺ كفروا به، وبالتالي فسبب النزول كان له اثر بارز في جلاء تأويل الآية الكريمة.

[1] المصدر السابق: ج01/ ص 471.

د/ الآية الرابعة: ﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٩٧ ﴾[1].

هذه الآية الكريمة لا يمكن معرفة المقصود منها إلاّ بعد وقوفنا على سبب نزولها، لأنّها لو فسّرت بعيدة عن معرفة سببها لغاب المعنى من قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ ﴾.

قال أبو حيان: "أجمع أهل التفسير أنّ اليهود قالوا جبريل عدوّنا واختلف في كيفية ذلك، وهل كان سبب النزول محاورتهم النبيّ ﷺ أو محاورتهم مع عمر وملخص العداوة: إنّ ذلك لكونه يأتي بالهلاك والخسف، والجذب، ولو كان ميكال صاحب محمد لاتبعناه، لأنّه يأتي بالخصب والسلم ولكنه دافع عن بُخت نصر حين أردنا قتله فخرب بيت المقدس وأهلكنا ولكونه يطلع محمّدا ﷺ على سرّنا والخطاب بقوله قل للنبيّ ﷺ"[2].

وسبب نزولها يرجع إلى ما روي عن أنس قال: "سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله ﷺ وهي في أرض يخترف، فأتى النبيّ ﷺ فقال: إنّي سائلك عن ثلاث لا يعلمهنّ إلاّ نبيّ: فما أوّل أشراط الساعة؟ وما أوّل طعام أهل الجنّة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمّه؟ قال: أخبرني بهنّ جبريل آنفا قال: جبريل؟ قال نعم، قال: ذلك عدوّ من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ ﴾ ، أمّا أوّل أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأمّا أوّل طعام أهل الجنّة فزيادة كبد الحوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزعت،قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّك رسول الله، يا رسول الله، إنّ اليهود قوم بُهت، وإنّهم إن يعلم بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود، فقال النبيّ ﷺ: أي رجل عبد الله فيكم، قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، قال: أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟ فقالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلاّ

---

[1] سورة البقرة: الآية 97.

[2] أبو حيان الأندلسي– تفسير البحر المحيط: ج01/ ص 488.

الله وأنّ محمّدا رسول الله، فقالوا: شرّنا ابن شرّنا، وانتقضوه، فقال: فهذا الذي كنت أخاه يا رسول الله"[1].

وبالوقوف على سبب النزول الذي رواه أنس رضي الله عنه، تبيّن لنا أنّ المراد بقوله تعالى : ﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ ﴾ هم اليهود من بني إسرائيل إذ زعموا أنّ جبريل عدوّ لهم، وأنّه صاحب سطو وعذاب، لا صاحب وحي وتنزيل ورحمة، فأبوا اتباعه وجحدوا نبوّته، بإنكارهم ما جاء به من آيات بيّنات، وعليه فلو غاب عنّا هذا السبب من المحتمل أن تفسّر الآية خلاف معناها، وبالتالي فقد نحمل الآية القرآنية فهما ما أنزل الله بها من سلطان.

[1] أخرجه البخاري – الجامع الصحيح (كتاب تفسير القرآن، باب قوله ﴿ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ ﴾، 4480: ج03/ ص 101.

المطلب الثاني: آيات تتعلّق بالعبادات.

كنّا قد رأينا سابقا بعض النماذج المتعلقة بآيات العقيدة وأسباب نزولها وأنّ معرفة سبب النزول مهمّ جدّا في الوصول إلى التفسير الصحيح للآية. وسنقتصر في هذا المطلب على ذكر نماذج لآيات تتعلّق بالعبادات.

لا يخفى على المفسّر لكتاب الله، وهو يجوب آياته محاولا فهمها أنّه يصطدم مع آيات تتناول موضوعا خاصا بالعبادات، تجعله يتوقف لعدم حصوله على الفهم السليم لها، لكن سرعان ما يعود إلى سبب نزول الآية يتضح له الإشكال والغموض الذي حصل له بعيدا عن معرفة أسباب النزول وليتضح هذا المعنى عملت على توظيف مجموعة من الأمثلة التطبيقية، كان لأسباب النزول أثر واضح في فهم الآية وإزالة الغموض، وسنسير على نفس الطريقة التي سرنا بها من قبل.

قد أمر الله عز وجل بإقامة الصلاة في كتابه، فقد ذكرها في أكثر من موضع، لأنّ سرّها ولبّها هو إقبال العبد على الله بكليّته فيها، فلا ينبغي أن يصرف وجهه عن القبلة إلى غيرها، فإقبال العبد على الصلاة يصلحه من أمراض الشهوات والوساوس، ولكن بإعطاء الصلاة حقّها من الخشوع والطمأنينة، فأصل الصلاة هو الدعاء، لقوله تعالى: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ ﴾ [1] ،أمّا شروطها تسعة وهي: الإسلام، العقل، التمييز، رفع الحدث، إزالة النجاسة، ستر العورة، دخول الوقت، استقبال القبلة، والنية[2].

و من الأمثلة التي تعلقت بموضوع العبادات نذكر الآيات الآتية:

---

[1] سورة التوبة: الآية 103.

[2] محمد بن عبد الوهاب– الأصول الثلاثة وأدلتها ويليها شروط الصلاة، وواجباتها وأركانها والقواعد الأربعة، ط10، مؤسسة الحرمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، 1420هـ: ص 27.

أ/ **الآية الأولى:** ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾ ﴾[1].

لفظ السفهاء في هذه الآية الكريمة من ألفاظ العموم، فإذا فسرت على ظاهرها، فإنّها تشتمل كل سفيه، ولكن إذا وقف المفسّر على سبب نزول الآية تبيّن له أنّ المقصود بالسفهاء اليهود الذين نزلت فيهم الآية.

قال مقاتل بن سليمان: "...ولما صرفت القبلة إلى الكعبة قال مشركوا مكة: قد تردّد على أمره واشتاق إلى مولد آبائه، وقد توجه إليكم وهو راجع إلى دينكم، فكان هذا سفها منهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[2] .

أمّا أبو حيان فقال: "سبب نزول هذه الآية ما رواه البخاري عن البراء بن عازب قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، فصلّى نحو بيت المقدس ستّة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنّه صلّى – أو صلاها – صلاة العصر، وصلّى معه قوم فخرج رجل ممّن كان صلّى معه فمرّ على أهل المسجد وهم راكعون قال أشهد بالله لقد صلّيت مع النبيّ ﷺ قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحوّل قبل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله: "وما كان الله ليضيع إيمانكم، إنّ الله بالناس لرؤوف رحيم"[3].

فقال السفهاء من الناس وهم اليهود: ما ولاّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فقـــال الله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ ﴾ ... وذهب قوم إلى أنّها متقدّمة في التلاوة متأخرة في النزول، وأنّه نزل

---

[1] سورة البقرة: الآية 142.

[2] أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشر الأزدي البلخي – تفسير مقاتل بن سليمان، تح: عبد الله محمود شحاتة، ط01، دار إحياء التراث، بيروت، 1423هـــ: ص 144.

[3] أخرجه البخاري – الجامع الصحيح (كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾ ﴾، رقم: 4482): ج03/ ص 193. ومسلم – صحيح مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، رقم: 525): ج01/ ص 374.

قوله ﴿ قد نرى تقلب وجه في السماء ﴾ ثمّ نزل ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾، على ذلك العديد من العلماء، ويدلّ على هذا ويصححه حديث البراء المتقدم الذي خرجه البخاري"[1].

على ضوء ما سبق، وانطلاقا من هذا السبب يتضح بجلاء أنّ المراد بالسفهاء هم اليهود الذين اعترضوا على المسلمين بسبب تحوّلهم عن القبلة، فإيراد سبب النزول قد ساهم بشكل جليّ في بيان المعنى.

[1] أبو حيان الأندلسي– تفسير البحر المحيط: ج01/ ص 593.

ب/ الآية الثانية: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

شرع الله جلّ وعلا للعباد أن يتهيّئوا لأداء فريضة الحج ،تطهيرا لهم من الذنوب وتهذيبا للشهوات التي تحول بينهم وبين لقاء الله في الجنة، وذلك أنّ المراد القدوم على الله لابدّ له من التطهر من الدنيا وشهواتها، وتعلق القلب بها، فلهذا كان الحج قصد الله والرجوع إليه لزيارة بيته المعظم، فهو "الركن الخامس من أركان الإسلام، فرضه الله في السنة التاسعة من الهجرة على الصحيح من أقوال أهل العلم"[2].

انطلاقا من ظاهر هذه الآية الكريمة ،قد يتوهّم أنّ الطواف بين الصفا والمروة من الأمور المباحة غير الواجبة، لأنّها وردت بصيغة نفي الجناح عمن سعى بين الصفا والمروة من الحجاج والمعتمرين.

قال أبو حيان: "سبب النزول أنّ الأنصار كانوا يحجون لمناة، وكانت مناة خزفا وحديدا، وكانوا يتحرّجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا فأنزلت"[3].

فهذا ما ثبت في الصحيحين من سبب نزول الآية، فعن هشام ابن عروة عن أبيه قال: "قلت لعائشة زوج النبيّ ﷺ وأنا يومئذ حديث السنّ أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴾، فما رأى على أحد شيئا أن لا يطوف لهما، فقالت عائشة: كلاّ، لو كانت كما تقول كانت فلا جناح عليه أن يطوف بهما، إنّما أنزلت هذه الآية في الأنصار: كانوا يُهلون لمناة، وكانت مناة وقديد[4]، وكانوا يتحرّجون أن يطوفوا بين

---

(1) سورة البقرة: الآية 158.

(2) سعود بن إبراهيم الشريم– المنهاج للمعتمر والحاج، ط01، دار الوطن، الرياض، 1414هـ–1994م: ص 21.

(3) أبو حيان الأندلسي– تفسير البحر المحيط: ج01/ ص 631.

(4) وبعد إهلالهم في قديد، يأتون مكة فيتمن شعائرهم الوثنية بين الصفا والمروة.

الصفا والمروة فلمّا جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴾[1].

من خلال ما تقدّم، تبيّن من سبب نزول الآية أنّه ليس المراد منها عدم فرضية السعي بين الصفا والمروة، فالصيغة التي ورد فيها الحكم يقتضي الإباحة لا الوجوب، وبالتالي فسبب النزول كان له أثر واضح في البيان والكشف عن معنى النص القرآني.

[1] أخرجه البخاري – الجامع الصحيح (كتاب تفسير القرآن ، باب ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ ، رقم: 4495، 4496): ج01/ ص 195. ومسلم – صحيح مسلم (كتاب الحج، باب بيان أنّ السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلاّ به، رقم: 1277): ج02/ ص 928.

ج/ الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ ﴾[1].

لقد فرض الله تعالى الصيام على الأمة المحمدية أسوة بمن قبلها من الأمم السابقة في السنّة الثانية من الهجرة، قال جمهور المفسرين: "إنّ الصوم عبادة أصلية قديمة لم تفرض عليكم وحدكم، بل شارككم فيها كل الأمم"[2]، فالصوم من أعظم أركان الدين، وأوثق قوانين الشرع، وأنّه مركّب من المنع عن المآكل والمشارب، فهو من أشق التكاليف على النفوس، لكنّ فضله عظيم وثوابه جسيم، ففيه تفتح أبواب الرحمة وتغلق أبواب جهنّم، فالصوم مدرسة تربي الروح وتقوي الإرادة.

ففي هذه الآية الكريمة سؤال لا يمكن معرفة جوابه الصحيح إلاّ بالوقوف على سبب نزولها وهو: ما المراد بالخيانة في قوله تعالى: ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ ۚ ﴾؟

قال بعض العلماء أنّ الآية قد نزلت في زلّة ندرت فجعل ذلك سبب رخصة لجميع المسلمين إلى يوم القيامة[3].

أمّا أبو حيان فقد ذكر سبب نزول الآية الكريمة قائلا: "سبب نزول هذه الآية ما رواه البخاري عن البراء: لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كلّه، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله: ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ ﴾[4]"[5].

---

[1] سورة البقرة: الآية 187.

[2] محي الدين مستو – الصوم فقهه، أسراره، ط04، دار القلم، دمشق – بيروت، 1399هـ-1979م: ص 24.

[3] ينظر: أبو حيان الأندلسي- تفسير البحر المحيط: ج02/ ص 55.

[4] أخرجه البخاري – الجامع الصحيح (كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ ﴾ ، رقم: 3508): ج03/ ص 198.

[5] أبو حيان الأندلسي- تفسير البحر المحيط: ج02/ ص 54 – 55.

وعلى ضوء ما تقدّم يكون معنى قوله تعالى ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ ﴾ أي تخونونها بالوقوع فيما حرّم الله عليكم من الجماع ومباشرة النساء ليالي الصيام، فهذا المعنى لا يمكن الوقوف عليه إلاّ بعد معرفة سبب نزول الآية.

د/ الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ ﴾[1].

في هذه الآية الكريمة لفظة (المحيض)، قد تطبق على الحيض الذي يعتري النساء، وأنّ المراد بقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ﴾ هو: "موضع الحيض حالة الحيض، لأنّ أصل اسم الموضع يبقى عليه وإن زال الذي لأجله سمّي به"[2].

فقد ورد لفظ الحيض في الآية القرآنية مرتين، مرة في قوله تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ﴾ ويقصد به الحيض، أمّا الموضع الثاني من قوله تعالى: ﴿ فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ ﴾ فهنا يحتمل أن يكون المراد به موضع أو محلّ الحيض، فيظهر الفرق بين قول المحيض مصدر كالحيض وبين قول الطبري المحيض، ولا فرق بينهما، يقال فيه مصدر، ويقال فيه اسم مصدر، والمعنى واحد، أمّا ابن عباس قال: هو موضع الدم، ورجح كونه مكان الدم بقوله : ﴿ فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ﴾[3].

لكن بالعودة إلى سبب نزول الآية قد نجد ما يرجح أحد المعاني المتقدمة، قال أبو حيان: "في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه: أنّ اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم، لم يؤاكلوها و لم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبيّ ﷺ، النبيّ ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ﴾، فقال رسول الله ﷺ اصنعوا كل شيء إلاّ النكاح[4] "[5].

---

[1] سورة البقرة: الآية 222.

[2] أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي – أحكام القرآن، تح: محمد عبد الله قادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان: ص 223.

[3] ينظر: أبو حيان الأندلسي– تفسير البحر المحيط:ج 02/ ص177.

[4] أخرجه مسلم – صحيح مسلم (كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله، رقم: 302): ج01/ ص 246.

[5] أبو حيان الأندلسي– تفسير البحر المحيط: ج02/ ص 176.

فمن خلال قوله ﷺ: "اصنعوا كل شيء إلاّ النكاح" يدل على أنّ المقصود من قوله تعالى: ﴿ فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ ﴾ أي اعتزلوا موضع الحيض من النساء باعتبار ذلك هو موضع النكاح.

المبحث الثاني:

أثر أسباب النزول في آيات الإحسان وأحكام النكاح والطلاق عند أبي حيان.

لاشكّ أنّ حضور أسباب النزول في التفسير القرآني يعكس أشكالا عديدة من توظيفها أقرّها المفسّرون في طلبهم معاني آي القرآن الكريم، فلابدّ من تفحّص حقيقة أسباب النزول، حتى تكون أحكامنا فيها من جهة صلتها بالتفسير مستقيمة وموضوعية، فمن هنا ارتأينا توضيح أثر أسباب النزول من خلال آيات متعلقة بالإحسان وأخرى بأحكام النكاح والطلاق، ويشتمل هذا المبحث على مطلبين:

- **المطلب الأوّل**: آيات تتعلّق بالإحسان.
- **المطلب الثاني**: آيات تتعلّق بالنكاح والطلاق.

المطلب الأوّل: آيات تتعلّق بالإحسان.

إنّ أسباب النزول من بين القواعد الأساسية لفهم نصوص آيات الشارع الحكيم، لذا نجد المفسرين لا يستغنون عنها بأي حال ما دامت الآية لها سبب نزول، فآيات الإحسان مثلا، الكثير منها بحاجة ماسة إلى أسباب النزول ليحصل الفهم الصحيح للآية، وسأقدّم مجموعة من الأمثلة التطبيقية، كان لأسباب النزول آثر واضح في بيان معناها.

فالمقصود بالإحسان أنّه مركب من العلم والعمل: فأمّا بالعلم بأن تعرف حدوث نفسك ونقصها، ووجوب الأولية لخالقها وكماله، وأمّا الإحسان في العمل فالحسن ما أمر الله به، ومثال ذلك سؤال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم عن الإحسان "...قال: ما الإحسان؟ قال أن تعبد الله كأن تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك [1] "[2]. اليقين أنّه بأنّه عليك، فليس من الأدب أن تعصي مولاك بحيث يراك.

ومن الأمثلة التي تضمنت معنى الإحسان نذكر الآيات التالية :

---

[1] أخرجه البخاري – الجامع الصحيح (كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبيّ ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة...رقم: 50): ج01/ ص 33. ومسلم – صحيح مسلم (كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى... رقم: 01): ج01/ ص 36.

[2] ابن العربي – أحكام القرآن: ج03/ ص 154.

أ/ **الآية الأولى:** ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٨﴾ ﴾[1] .

انطلاقا من الآية الكريمة يتبادر إلينا مفهوم قوله تعالى ﴿ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰ ﴾ أنّ الحرّ لا يقتل بالعبد، والعبد لا يقتل بالأنثى، والأنثى لا تقتل بالذكر[2]، فهذا ما أشار إليه الزمخشري، ففهم من سياق الكلام أنّ كل واحد لا يقتل إلاّ بمن يماثله، ولكن بعد الوقوف على سبب نزول الآية ،يزول الإشكال ويتضح أنّ المفهوم غير المراد.

قال أبو حيان: "روى البخاري عن ابن عباس قال: كان في بني إسرائيل القصاص، و لم تكن فيهم الدية، فقال الله تعالى لهذه الأمّة ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ ﴾، فالعفو أن يقبل الدية في العمد ﴿ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ ﴾، يتبع بالمعروف ويؤدي بإحسان[3] ﴿ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞ ﴾، مما كتب على من كان من قبلكم ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ قتل بعد قبول الدية[4]"[5].

---

[1] سورة البقرة: الآية 178.

[2] ينظر: الزمخشري – الكشاف: ج01/ ص 368.

[3] الذي يتبع غيره في حق ينبغي له أن يتبع بالمعروف والرفق، والذي يؤدي لغيره ما عليه من حق ينبغي له أن يؤدي بإحسان وطيبة نفس.

[4] أخرجه البخاري – الجامع الصحيح (كتاب تفسير القرآن – باب ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ – إلى قوله – عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ ، رقم: 4498، والحديث طرقه في : 6881): ج03/ ص 196.

[5] أبو حيان الأندلسي – تفسير البحر المحيط: ج02/ ص 11.

ولهذا السبب الذي أورده أبو حيان في تفسيره، يتضح أنّ المقصود من الآية إبطال ما كان عليه أهل الجاهلية من التجاوز في القصاص، ونلمس هذا المعنى من كلام ابن جرير الطبري في تفسيره إذ يقول: "فأنزل الله عز وجل هذه الآية، فأعلمهم أنّ الذي فرض لهم من القصاص أن يقتلوا بالرجل الرجل القاتل دون غيره، وبالأنثى الأنثى القاتلة دون غيرها من الرجال، وبالعبد العبد القاتل دون غيره من الأحرار، ونهاهم أنّ يتعدّوا القاتل إلى غيره في القصاص[1].

[1] الطبري – جامع البيان: ج03/ ص 95.

ب/ الآية الثانية: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ ﴾[1].

إنّ من أعظم وسائل تقوية التكافل الاجتماعي في الإسلام هو الإنفاق، فالإنفاق في سبيل الله هو أحد أهمّ الأمور التي يقاس بها العبد من ناحية صدقه مع الله وعبوديته له، والإنفاق قد يكون في المال وفي غيره، وقد يكون واجبا وتطوّعا"[2].

ففي هذه الآية الكريمة يتحدث المولى جلّ جلاله عن الإنفاق في سبيل الله، والأمر بالإحسان، لأنّ فيه إعلام أنّ الله تعالى يحبّ كل من قام على هذه الصفة، وهذا أمر واضح من سياق الآية، ولكن يحتاج إلى بيان، وهو ما المراد بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ﴾ ؟

فلا يمكن الإجابة على هذا السؤال دون الوقوف على سبب نزول الآية، فذكر الرازي أنّه: "قد قيل فيه وجوه... وقيل: هو الإنفاق حتى لا يجد ما يأكل ويشرب فيتلف"[3].

وقال أبو حيان: "قال عكرمة : نزلت في الأنصار أمسكوا عن النفقة في سبيل الله، وقال النعمان بن بشير: كان الرجل يذنب الذنب فيقول: لا يغفر الله لي فنزلت، وفي حديث طويل تضمن أنّ رجلا من المسلمين حمل على صف الروم، ودخل فيهم وخرج، فقال الناس: ألقى بنفسه إلى التهلكة، فقال أبو أيوب الأنصاري: تأوّلتم الآية على غير تأويلها، وما أنزلت هذه الآية إلاّ فينا معشر الأنصار، لمّا أعزّ الله

---

[1] سورة البقرة: الآية 195.

[2] أبو القاسم – المفردات في غريب القرآن: ص 819.

[3] أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي – أحكام القرآن، تح: عبد السلام محمد شاهين، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1415هـ-1994م: ج01/ ص 318.

دينه قلنا: لو أقمنا نصلح ما ضاع من أموالنا، فنزلت"[1]، وعن سليمان قال: "سمعت أبا وائل عن حذيفة ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ﴾، قال: نزلت في النفقة"[2].

وعليه فانطلاقا من معرفة السبب الذي لأجله نزلت الآية الكريمة، تبيّن أنّ الله جلّ ثناؤه أمر بالإنفاق في سبيله بقوله: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ وسبيله: طريقه الذي شرعه لعباده وأوضحه لهم، والإنفاق في إعزاز الدين الذي شرعه الله تعالى لجهاد العدوّ الذي نصب الحرب على الكفر بالله[3]، وتبيّن أنّ معنى التهلكة هو ترك الجهاد والإخلاد إلى الراحة وإصلاح الأموال[4].

وبالتالي فإنّ جلاء المعنى وبيانه، قد يساهم في رسم صورة واضحة في فهم الآية ورفع الإشكال عنها.

---

[1] أبو حيان الأندلسي – تفسير البحر المحيط: 02 /ص 78.

[2] أخرجه البخاري – الجامع الصحيح (كتاب تفسير القرآن – باب ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ۛ وَأَحۡسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾، رقم: 4516): ج03/ ص 200.

[3] ينظر: الطبري – جامع البيان: ج03/ ص 324.

[4] ينظر: أبو حيان الأندلسي – تفسير البحر المحيط: ج02/ ص 78- 79.

ج/الآية الثالثة: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾[1].

لقد حرصت شريعتنا الإسلامية على الاهتمام باليتيم وترسيخ حقوقه المالي ورعايته، فقد ورد ذكر اليتيم في القرآن الكريم اثنتين وعشرين مرّة، كانت في مواقع تعرض الرحمة الإلهية بهذا الإنسان وإيصاء الناس به، والتشديد على أهمية معاملته بالحسنى.

فمن خلال الآية الكريمة نلمس سؤال يتبادر إلى الذهن ألا وهو: ما الذي سألوا عنه في أمر اليتامى؟ فلا تتسنى الإجابة عن هذا السؤال إلاّ بعد الوقوف على سبب نزول الآية.

فالزمخشري يروي أنّهم: اعتزلوا اليتامى، وتحاموهم، وتركوا مخالطتهم والقيام بأموالهم والاهتمام بمصالحهم، فشقّ ذلك عليهم، وكاد يوقعهم في الحرج، فقيل: ﴿ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴾ أي مداخلتهم على وجه الإصلاح لهم ولأموالهم خير من مجانبتهم[2].

أمّا أبو حيان فقال: "سبب نزولها أنّهم كانوا في الجاهلية يتحرجون من مخالطة اليتامى في المأكل والمشرب وغيرهما، ويتجنبون أموالهم، قاله الضحاك والسّدي، وقيل لما نزلت ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾[الإسراء:34] و ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: 10] انطلق من كان عنده يتيم، فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتدّ ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ

---

[1] سورة البقرة: الآية 220.

[2] الزمخشري – الكشاف: ج01/ ص 430.

عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ ﴾، فخلطوا طعامهم بطعامهم، وشرابهم بشرابهم"[1][2].

وبهذا يتبيّن أنّ الذي سألوا عنه هو مخالطة اليتامى، هذا الأخير الذي حرص الإسلام على جعل جزاء كافله قربة من الرسول ﷺ، وحبّه له، فقد كان خاتم الأنبياء يتيما لكن الله تعالى تكفله من عنده، فالله رحيم بعباده، وعليه فسبب النزول لعب دورا أساسيا في نقل المعنى الصحيح، حيث قام بإزالة الإشكال الذي قد يعتري الكثير ممّن درسوا الآية دون الوقوف على سببها.

[1] أخرجه الحاكم – المستدرك على الصحيحين (كتاب التفسير، باب من سورة البقرة، رقم: 3103): ج02/ ص 306. وأبو داود – سنن أبي داود (كتاب الوصايا، باب مخالطة اليتيم في الطعام، رقم: 2871): ص 509. و أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي – سنن النسائي (كتاب الوصايا، باب ما للوصي من مال اليتيم إذا قام عليه، رقم: 3668، 3669)، تح:أبو عبيدة بن الحسن آل سلمان،ط01 ،مكتبة المعارف للنشر و التوزيع، الرياض: ص 570-571.

[2] أبو حيان الأندلسي – تفسير البحر المحيط: ج02/ ص 170.

المطلب الثاني: آيات تتعلّق بالنكاح والطلاق.

علم أسباب النزول من علوم القرآن التي اعتنى بها العلماء المسلمون قديما وحديثا، فهي من مصادر التشريع التي قد جاءت علاجا لبعض القضايا في سبيل رفع الإشكال عن بعض الآيات، هذه الأخيرة التي سأقتصر على بيان أثرها من خلال أمثلة تطبيقية تتعلّق بأحكام النكاح والطلاق.

لما كان الزواج الشرعي هو الوسيلة الصحيحة لتكوين أسرة شرعية، كانت هذه الأخيرة اللبنة الأولى في بناء الهيكل الإنساني العام وأوّل خلية في جسم المجتمع البشري، فاللبنة إذا كانت صالحة في نفسها قوية في التحامها مع اللبنات الأخرى كان بناء المجتمع سليما قويا[1]، فمن ثمّ تنوّعت عبارات الفقهاء في مفهوم النكاح لكنّها تدور في معنى واحد وهو "الوطء والعقد"[2].ومن الأمثلة التي تضمنت أحكام النكاح و الطلاق نذكر من الآيات ما يلي:

[1] عطية صقر – موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام "مراحل تكوين الأسرة"، ط02، مكتبة وهبة، القاهرة، 1427هـ–2006م: ج01/ص44.

[2] أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي – المعونة في الجدل، تح: علي عبد العزيز العميريني، ط01، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، 1407هـ: ج01/ ص 58.

أ/ الآية الأولى: ﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ ﴾ [1].

هذه الآية الكريمة لو فسّرها المفسّر بمعزل عن سبب نزولها، لاحتملت لفظة "أنّى" معاني عدّة، لأنّها من الألفاظ المشتركة، فتأتي بمعنى (من أين) وبمعنى (كيف) وبمعنى (متى)، وبمعنى (أين)[2]، ولكن بعد الوقوف على سبب نزولها يتضح المعنى المراد.

وهذا ما عرّج عليه الطبري بقوله: ﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ ﴾ : كيف شئتم، أو تأوله بمعنى: حيث شئتم أو بمعنى: متى شئتم، أو بمعنى أين شئتم"[3].

قال أبو حيان: "في البخاري ومسلم أنّ اليهود كانت تقول في الذي يأتي امرأته من دبرها في قبلها إنّ الولد يكون أحول فنزلت[4]،وعن أمّ سلمة رضي الله عنها:" أنّ الأنصار كانوا يحبّون النساء وكانت اليهود تقول: إنّه جبى امرأته كان ولده أحول، فلما قدم المهاجرون المدينة، نكحوا في نساء الأنصار فجبّوهن، فأبت امرأة أن تطيع زوجها، فقالت لزوجها: لن تفعل ذلك حتى آتي رسول الله ﷺ فدخلت على أمّ سلمة، فذكرت ذلك لها، فقالت: اجلسي حتى يأتي رسول الله ﷺ، فلما جاء رسول الله ﷺ، فقال: "ادعي الأنصارية" فدعيت، فتلا عليها هذه الآية ﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ

---

[1] سورة البقرة: الآية 223.

[2] الزركشي – البرهان في علوم القرآن: ج04/ ص 249-250.

[3] الطبري – جامع البيان: ج 03/ ص 761.

[4] أخرجه البخاري – الجامع الصحيح (كتاب تفسير القرآن – باب ﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ ﴾ ، رقم: 4528): ج03/ ص 202. ومسلم – صحيح مسلم (كتاب النكاح، باب جواز جماع المرأة في قبلها من قدامها من ورائها، من غير تعرض للدبر، رقم: 1435): ج03/ ص 1058.

شِئْتُمْ ﴾ ، صماما واحدا[1]، وقيل بسبب ذلك أنّ بعض الصحابة قال لرسول الله ﷺ هلكت، فقال: وما الذي أهلكك، قال: حولت رحلي الليلة، فنزلت"[2].

بناء على ما ورد من سبب نزول الآية يكون معنى (أنّى شئتم) من أين شئتم، أو يكون معناه (فأتوا حرثكم كيف شئتم)، يعني بجميع الهيئات على أن يكون مكان الحرث هو القبل، والدليل على ذلك ما ذكره الطبري هو أن يكون مكان الحرث من وجوه المأتى، وأن يكون ما عدا ذلك من التأويلات فليس للآية تأويل.

وبالتالي فلو لا الوقوف على سبب نزول الآية، لما أمكن تحديد المعاني المرادة منها.

---

[1] أحمد بن حنبل – مسند الإمام أحمد بن حنبل (رقم: 26601)، تح: شعيب الأرنؤوط، ط01، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، 1421هـ–2001م: ج44/ ص 219–220.

[2] أخرجه الترمذي – سنن الترمذي (كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، رقم: 2980): ص 667. وأبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي – كتاب السنن الكبرى (كتاب عشرة النساء، باب تأويل قول الله عز وجل ثناؤه ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ ، رقم: 8928)، تح :حسين عبد المناعم شلبي، ط01، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، 1421هـ–2001م: ج08/ ص 189. والحديث طرفه في (رقم: 10973): ج10/ ص 32. وأحمد– مسند الإمام أحمد (رقم: 2703): ج04/ ص 434.

ب/ الآية الثانية: قوله تعالى : ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍ ﴾[1].

إنّ مسائل الطلاق مما يكثر فيها الجهل والتساهل من بعض المسلمين، فالطلاق في اصطلاح الفقهاء هو حلّ عقدة النكاح و أصله الانطلاق والتحلية، فسميت المرأة المخلى سبيلها طالقا لهذا المعنى[2]، أمّا تسريح بإحسان أي يستهل أمرها بأن يطلقها الثالثة والسرح في كلام العرب السهل[3].

من خلال سياق الآية الكريمة نلمس أنّ الشارع الحكيم يتحدّث عن الطلاق، لكن يتبادر إلى الذهن تحديد عدد مرات الطلاق التي يحل للرجل مراجعة امرأته فيها، ولمعرفة ذلك لابدّ من الوقوف على سبب نزول الآية ليتضح هذا الإشكال.

هذا ما نلمسه في قول ابن العربي أنّه: "ثبت أنّ أهل الجاهلية لم يكن عندهم للطلاق عدد، وكانت عندهم العدّة معلومة مقدّرة، فروى عروة قال: كان الرجل يطلّق امرأته ثمّ يراجعها قبل أن تنقضي عدّتها، فغضب رجل من الأنصار على امرأته فقال: لا أقربك ولا تخلين مني، قالت له: كيف؟ قال: أطلقك حتى إذا جاء أجلك راجعتك، فشكت ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ﴾[4] .

قال أبو حيان: "سبب نزول هذه الآية، ما روى هشام بن عروة، عن أبيه، أنّ رجلا كان إذا طلّق امرأته، ثمّ راجعها قبل انقضاء عدّتها، كان له ذلك، ولو طلّق ألف ألف مرة، فطلّق رجل امرأته، ثمّ راجعها قبل انقضاء عدّتها رجل استبرأ، فحين طلق شارفت انقضاء العدّة راجعها، ثمّ طلّقها، ثمّ قال: والله لا أقربك إليّ ولا تخلين مني، فشكت ذلك إلى النبيّ ﷺ ، فنزلت[5]" [6].

---

[1] سورة البقرة: الآية 229.

[2] القرطبي – الجامع لأحكام القرآن : ج03/ ص 111.

[3] أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد – معاني القرآن، تح :محمد علي الصابوني، ط01، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1409هـ: ص 201.

[4] ينظر: ابن العربي – أحكام القرآن: ج01/ ص 257.

[5] أخرجه الترمذي – سن الترمذي (كتاب الطلاق واللعان عن رسول الله، باب في عدد الطلقات، رقم: 1192): ص 283.

[6] أبو حيان الأندلسي – تفسير البحر المحيط: ج02/ ص 202.

ومن خلال السبب الذي ساقه ابن العربي و أبو حيان، تبيّن أنّ الحكمة من تحديد الطلاق الذي تحلّ فيه المراجعة بطلقتين، فإن طلقها الثالثة فلا تحلّ له حتى تتزوج بعده بزوج آخر، أمّا إذا لم يكن الطلاق ثلاثا فله أن يراجعها إلى عصمة نكاحه، وعليه فالأزواج المطلقات لسبب من الأسباب فعليهنّ انتظار مدّة من الزمن هي مدّة (ثلاثة أطهار) ولمعرفة براءة الرحم حتى لا تختلف الأنساب[1].

بعد إيراد هذا السبب اتضح المعنى المراد، لأنّه يتناسب مع نزول الآية، من هنا زال الغموض الذي سبق طرحه في مستهلّ الآية، فهذا المعنى لا يمكن الوقوف عليه إلاّ بعد سبب نزول الآية.

[1] ينظر: محمد علي الصابوني – روائع البيان "تفسير آيات الأحكام في القرآن"، ط03، مكتبة الغزالي، دمشق، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، 1400هـ–1980م: ج01/ ص 321.

ج/ الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [1].

من خلال الآية الكريمة قد يلتبس سؤال وهو: من المخاطب به في هذه الآية؟

ويمكن الإجابة على السؤال بعرض أقوال المفسرين في هذه المسألة، وهي على ثلاثة أقوال:

الأوّل: المخاطب بهذه الآية هو الولي[2].

الثاني: المخاطب بهذه الآية هو الزوج[3].

الثالث: المخاطب بهذه الآية هو عامة الناس[4].

بعد الوقوف على هذه الأقوال الثلاثة التي ساقها العلماء لا يمكن معرفة المخاطب في الآية الكريمة إلاّ بالرجوع إلى سبب نزولها.

قال أبو حيان : "قال ابن عباس والزهري والضحاك نزلت في كل من منع امرأة من نسائه عن النكاح بغيره إذا طلقها، وقيل نزلت في ابنة عمّ جابر بن عبد الله طلقها زوجها وانقضت عدّتها فأراد رجعتها فأتى جابر وقال طلقت ابنة عمنا ثمّ تريد أن تنكحها وكانت المرأة تريد زوجها، فيمنعها أولياؤها من ذلك، وقيل في مغفل بن يسار وأخته جمل وزوجها أبي الوليد عاصم بن عدي بن العجلان، قال: "كانت لي أخت تخطب إليّ"، وقال إبراهيم عن يونس عن الحسن حدثني معقل بن يسار عن الحسن "أنّ أخت معقل بن يسار طلقها زوجها، فتركها حتى انقضت عدّتها فخطبها فأبى معقل،

---

[1] سورة البقرة: الآية 232.

[2] القرطبي – الجامع لأحكام القرآن: ج04 /ص 104.

[3] المصدر نفسه: ج04/ ص 105.

[4] الزمخشري – الكشاف: ج01/ ص 454.

فنزلت ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[1]"[2].

وعليه فالسبب الأوّل يكون المخاطبون هم الأزواج، والسبب الثاني الأولياء قد تسببوا في الطلاق، وعني القول بأنّ الخطاب للأولياء يكون أزواجهنّ هم المطلقون فسموا أزواجا باعتبار ما كانوا عليه[3]، وهذا تماشيا مع سبب النزول الذي سقته سالفا وهو رأي جمهور المفسرين.

وعليه، فلو غاب السبب عن المفسر لما استطاع الوصول إلى مراد ومقصد الشارع من نزول الآية القرآنية، فلابدّ على المفسر أن يمحص حقيقة أسباب النزول حتى تكون أحكامه وصلته بها موضوعية.

عملي في هذا الفصل توضيح مدى أثر أسباب النزول في تفسير الآيات التي نزلت على أسباب من سورة البقرة، وأخصّ بالذكر أسباب النزول التي قمت بتتبعها وجمعها من تفسير أبي حيان وتفاسير أخرى وذلك بالمقارنة بين تفسير الآية مجردة عن معرفة سببها وتفسيرها في ضوء سببها وبيان الإشكال الذي وضّحه سبب نزولها.

---

(1) أخرجه البخاري – الجامع الصحيح (كتاب تفسير القرآن، باب : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ ﴾ رقم: 4529، والحديث أطرافه في: 5130، 5330، 5331): ج03/ ص 202، و(كتاب النكاح – باب من قال: لا نكاح إلاّ بولي لقوله تعالى ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ رقم: 5130): ج03/ص 270. وأبو داود – سنن أبي داود (كتاب النكاح – باب في العضل، رقم: 2087): ص 362.

(2) أبو حيان الأندلسي – تفسير البحر المحيط: ج02/ ص 220.

(3) ينظر: المصدر نفسه: ج02/ ص 220.

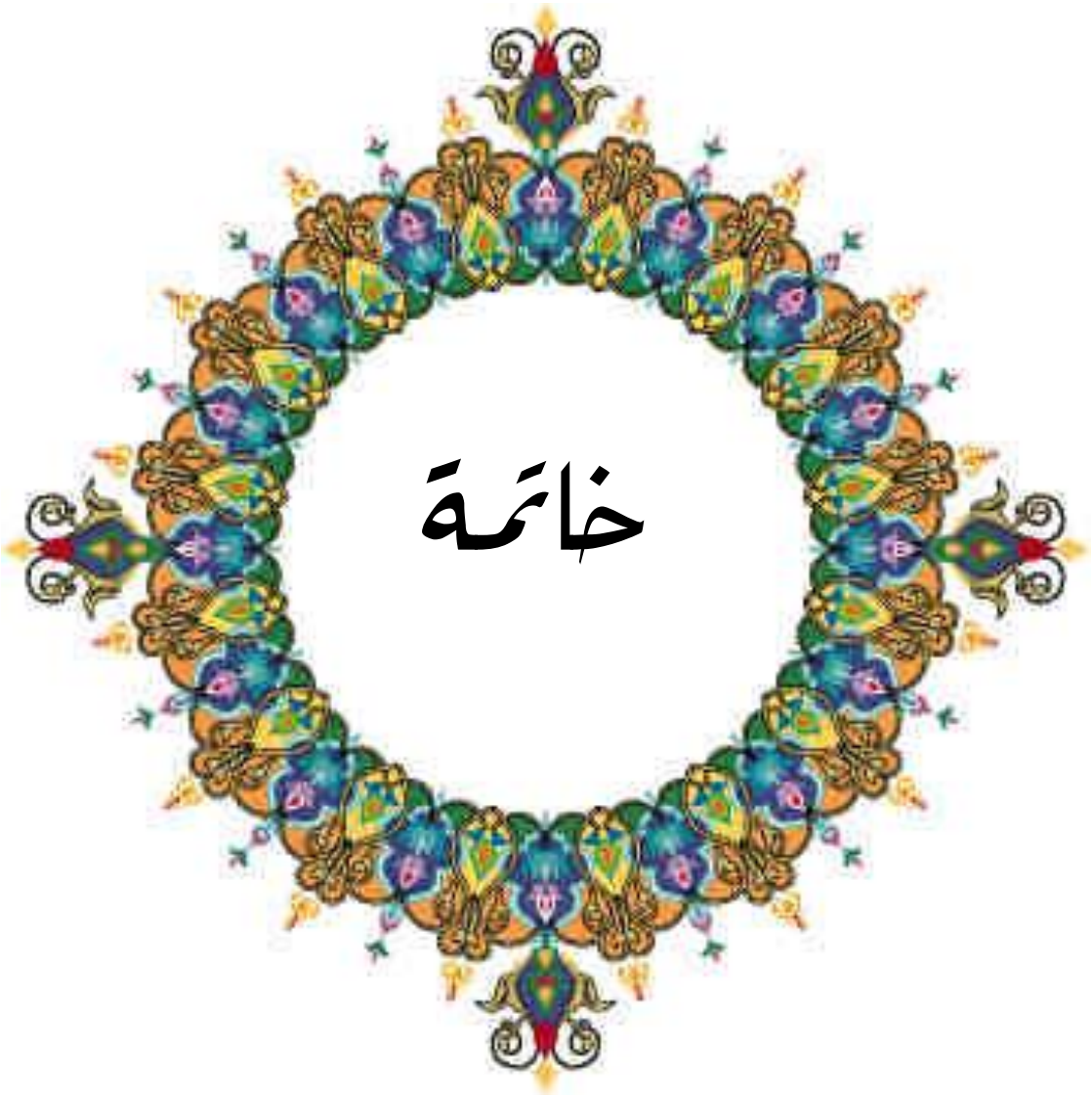
خاتمة

الحمد لله الذي شرّف هذه الأمّة بتنزيل القرآن الكريم ليكون نورا وهداية للناس على مرّ الزمان، وصلى الله وسلم وبارك على سيد الخلق محمد وعلى آله الذي كان نورا لهذه الأمة في أن أخرجها من ظلمات الجهل إلى نور الإسلام، والذي كان لا يدع مشكلة ألاّ وقام بحلّها، والذي لا يسأل عن مسألة إلاّ وأجاب عنها، ورضي الله عن صحابته الكرام الذين شرّفهم الله بمشاهدة التنزيل، وبعد:

فإنّني، وبعد قيامي بهذا الجهد المتواضع الذي أسأل الله تعالى أن يكون في ميزان حسناتي يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم، وأرجو أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة، وأن تكون نافعة لكل من يطلع عليها، وبعد إتمامي هذا البحث توصلت إلى النتائج التالية:

* علم أسباب النزول علم يبحث في الحوادث والمسائل التي كانت زمن النبيّ ﷺ ونزل القرآن بشأنها، ومعرفته لازمة لكل من يتصدّى لتفسير كتاب الله، وآيات القرآن قسمان: قسم نزل بسبب وقسم نزل بغير سبب.

* علم أسباب النزول من أهمّ علوم القرآن، ومعرفته لازمة لكل من يتصدّى لتفسير كتاب الله تعالى، إذ يعود المفسّر والفقيه في أثناء دراسته للنص القرآني إلى سبب نزوله، حيث يقع بينهما في كثير من الأحيان تآزر معنوي إلى درجة التكامل، فضلا عن إثراء سبب النزول لمعنى النص القرآني ولو كان واضحا، ممّا يعين على فهمه فهما صحيحا.

* معرفة أسباب النزول من أهمّ مفردات وأدوات التفسير، وذلك لتوقف فهم الآية على سبب نزولها كليا أو جزئيا، وإلاّ لوقع المفسّر في التأويل الفاسد، ولتوصل المجتهد إلى أحكام غير صحيحة.

* الألفاظ التي يعبر بها عن سبب النزول، إمّا أن تكون صريحة، أو يأتي بالسبب معقبا إياه بالفاء، وإمّا تكون هذه الألفاظ غير صريحة كأن يقول الراوي: "أحسب هذه الآية نزلت في كذا".

* روايات أسباب النزول حجّة في الأحكام الشرعية.

* إنّ أبا حيان يعتبر من أكثر المفسّرين اعتناء بذكر أسباب النزول لما لها من دور كبير في كشف غوامض الشرع الحكيم.

* تفوّق أبو حيان الأندلسي على الزمخشري وابن جزي، في توظيفه لأسباب النزول القرآني من حيث دقة النقل والأمانة العلمية في الإحالة على مصادره في مروياته.

* إنّ علم قواعد أسباب النزول من العلوم الضرورية لطالب العلم إذ تحصل بمعرفتها جمع شتات ذلك الموضوع، و لمّ أطرافه بحيث يجهل استحضارها وفهمها.

وختاما، فإنّي لأقدّم هذه التوصيات لكل من أراد البحث في هذا الموضوع:

- أن يتحرّى كل باحث في رواية سبب النزول الدقّة في أخذ الروايات، فلا يقبل إلاّ ما صحّ منها سندا ووافق القواعد المعتبرة في أسباب النزول، فلا يليق بحق باحث مجدّ أن يكتفي بالنقل عن السابقين دون تمحيص.
- أن لا تأخذ روايات أسباب النزول على أنّها قصص تحكى، أو روايات تساعد في فهم القرآن الكريم فحسب، بل تستغل – إذا كانت صحيحة سندا – في استنباط الأحكام الشرعية.
- ضرورة أن تدرس روايات أسباب النزول من أجل حلّ بعض القضايا الاجتماعية.

وبعد :

فهذا ما فتح الله ويسّره من القول في هذا الجهد المتواضع، وهو جهد بشري معرّض للخطأ والزلل والنقصان، فإن أصبت فيه فذلك بفضل الله وتوفيقه، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، وأسأل الله تعالى العافية والمغفرة.

وإنّي لأطمع في توجيه النصح وتسديد القول، والتنبيه على مواطن الزلل في هذا العمل المتواضع، فلست مدّعية له كمالا، لأنّ الكمال لله وحده.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء المرسلين محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم ووالاهم إلى يوم الدين.

الفهارس العامة

– فهرس الآيات القرآنية.
– فهرس الأحاديث النبوية.
– فهرس المصادر والمراجع.
– فهرس الموضوعات.

أولا: فهرس الآيات القرآنية.

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
سـورة البقـرة		
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧ ﴾	07-06	48
﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	35	32
﴿ ۞ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾	75	29
﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ۝٧٩ ﴾	79	49
﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾	89	51
﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٩٧ ﴾	97	53

﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٤٢ ﴾	142	56
﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨ ﴾	158	58
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ ﴾	168	41
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ ﴾	178	66
﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا	187	60

تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾		
﴿ ۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾	189	28-27
﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ ﴾	195	68
﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾	197	17
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٢٠٦ ﴾	206-204	24
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ	218	17

أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾		
﴿ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ ﴾	220	70
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾	222	62
﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾	223	73-35
﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾	229	75
﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ	232	77

يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ﴾		
سورة آل عمران		
﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾	188	24
﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾	195	40
سورة النساء		
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾	60	34
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾	65	34-33
سورة المائدة		
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾	87	29

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٠١ ﴾	101	28
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَـٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ١٠٦ ﴾	106	31
سـورة الأنفـال		
﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١ ﴾	01	19
سـورة التوبـة		
﴿ ۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩ ﴾	19	36
﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣ ﴾	103	55

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾	113	18
سـورة إبـراهيـم		
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ﴿٢٧﴾ ﴾	29-28	48
سـورة الإسـراء		
﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ ﴾	85	37
سـورة الحـج		
﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾	15	02
سـورة النـور		
﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾	06	39

سـورة الأحـزاب		
﴿ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ٣٧ ﴾	37	39-18
سـورة الحشـر		
﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢ ﴾	02-01	20
سـورة التغـابـن		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ ﴾	14	22

سورة التحريم		
﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾	04	23
سورة الضحى		
﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ ﴾	03-01	06
سورة القدر		
﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴿١﴾ ﴾	01	04

ثانيا:فهرس الأحاديث النبوية.

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
"اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثا...".	جندب بن سفيان ﷺ.	06-05
"أنت أعظم الناس عليّ حقا...".	سعيد بن المسيّب ﷺ	18
"قال رجل: يا رسول الله من أبي؟ ".	أنس بن مالك ﷺ	28
"اسق يا زبير ثمّ أرسل الماء إلى جارك...".	عبد الله بن الزبير ﷺ	33
"...أنّ اليهود كانت تقول في الذي يأتي امرأته..."	أنس ﷺ	74-73-35
"وما الذي أهلكك؟..."	ابن عباس ﷺ	74-35
"يا رسول الله قد ذكر الرجال في الهجرة...".	أم سلمة رضي الله عنها	41-40
"سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله ﷺ ...".	أنس ﷺ	54-53
"لما قدم رسول الله ﷺ...".	البراء بن عازب ﷺ	56
"أنّ اليهود كانوا..."	أنس ﷺ	62
"...قال ما الإحسان ؟قال..."	أبو هريرة ﷺ	62

ثالثا: فهرس المصادر والمراجع.

أولا:الكتب المطبوعة.

1. إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق – المعونة في الجدل، تح: علي عبد العزيز العميريني، ط01، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت.

2. إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي أبوإسحاق ، الموافقات، دار بن المجدوب، ط01، المكتب الإسلامي، بيروت، 1403هـ-1983م.

3. أثير الدين أبي الحيان الأندلسي- تحفة الأريب بما في ا سمير المجدوب، ط01، المكتب الإسلامي، بيروت، 1403هـ-1983م.

4. أحمد بن حنبل – مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تح: شعيب الأرنؤوط، ط01، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، 1421هـ-2001م.

5. أحمد بن شعيب بن علي النسائي أبو عبد الرحمن – سنن النسائي، تح:أبو عبيدة بن الحسن آل سلمان،ط01 ،مكتبة المعارف للنشر و التوزيع، الرياض.

6. أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي – أحكام القرآن، تح: عبد السلام محمد شاهين، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1415هـ-1994م.

7. أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرّي- المصباح المنير، ط01، دار الحديث، القاهرة، 1421هـ-2000م.

8. أحمد تقي الدين ابن تيمية- شرح مقدمة في أصول التفسير،ط 01،مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية-الرياض،1432م.

9. أحمد خالد شكري- أبو حيان الأندلسي ومنهجه في تفسيره البحر المحيط وفي إبراء القراءات فيه، ط01، دار عمار، عمان، 1428هـ-2007م.

10. أحمد محمد الفاضل- الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن، ط01، مركز الناقد الثقافي، دمشق، 2008م.

11. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي- البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة.

12. بدر بن ناصر البدر- أبو حيان وتفسيره البحر المحيط، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1420هـ-2000م.

13. بدر بن ناصر البدر- أبو حيان وتفسيره البحر المحيط، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1420هـ-2000م.

14. الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري-المستدرك على الصحيحين ، تح: مصطفى عبد القادر عيطا، ط02 ،دار الكتب العلمية،بيروت- لبنان،1422ه-2002م.

15. خليل مناع القطان- مباحث في علوم القرآن، ط11، دار مكتبة وهبة، القاهرة، 2000م.

16. سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود- سنن أبي داود، تح: أبوعبيدة آل سلمان ،مكتبة المعارف للنشر و التوزيع،الرياض.

17. عبد الله بن يوسف الجديع- المقدّمات الأساسية في علوم القرآن، ط01، مركز البحوث الإسلامية، بريطانيا ، 1422هـ-2001م.

18. عطية صقر – موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام "مراحل تكوين الأسرة"، ط02، مكتبة وهبة، القاهرة، 1427هـ-2006م.

19. علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي أبو الحسن- أسباب نزول القرآن، تح: ماهر ياسين الفحل، ط01، دار الميمان، المملكة العربية السعودية، 1426هـ-2005م.

20. علي محمد الزبيري – ابن جزي ومنهجه في التفسير، ط 1 0، دار القلم، دمشق، 1407ه-1987م.

21. عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي- تفسير القرآن العظيم، تح: مصطفى السيد محمد، ط01، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1421هـ-2000م.

22. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، معجم القاموس المحيط، تح: خليل مأمون شيحا، ط04، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1430هـ-2009م.

23. مجموعة من المؤلفين- من مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، 1425هـ-2004م.

24. محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، مذكرة في أصول الفقه، دار العلوم والحكم، المدينة المنورة.

25. محمد بن إسماعيل البخاري-الجامع الصحيح، تح :محمد الدين الخطيب، ط01، المكتبة السلفية، القاهرة.

26. محمد بن علي الشوكاني- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

27. محمد بن علي بن محمد الشوكاني- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تح أبو حفص سامي بن العربي الأثري، ط1، دار الفضيلة، الرياض، 1421هـ-2000م.

28. محمد بن عيسى بن سورة الترميذي- سنن الترميذي ، تح: أبو عبيد آل سلمان، ط01، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

29. محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي- تفسير البحر المحيط، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ عليل محمد معوض، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ-1993م.

30. محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فوّاز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1410هـ-1990م.

31. محمد علي الصابوني – روائع البيان "تفسير آيات الأحكام في القرآن"، ط03، مكتبة الغزالي، دمشق، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، 1400هـ-1980م.

32. محمد محمود بن أحمد بن جزّي الكلبي أبو القاسم – التسهيل لعلوم التنزيل،ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1410ه-1990م.

33. محمود بن عمر الزمخشري أبوالقاسم – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود، ط01، مكتبةالعبيكان الرياض، 1418 ه -1998م.

34. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، المحرر في علوم القرآن، ط2، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الشاطبي، 1429هـ-2008م.

35. مسلم بن الحجاج النيسابوري- صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط01، دار الكتب العلمية.

36. مصطفى الصّاوي الجويني- منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه ، ط02، دار المعارف ، مصر.

37. النحاس أحمد بن محمد أبو جعفر – معاني القرآن، تح :محمد علي الصابوني، ط01، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1409هـ.

38. النسائي – كتاب السنن الكبرى ، تح :حسين عبد المناعم شلبي، ط01، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، 1421هـ-2001م

ثانيا:الرسائل الجامعية:

- رمضان يخلف – موازنة بين الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة، كلية أصول الدّين والشريعة والحضارة الإسلامية، قسم الكتاب والسنة، 1422ه-2001م.

رابعا: فهرس الموضوعات

مقدمة ..... أ

مدخل

أولا: التعريف بأسباب النزول. 2

ثانيا: فوائد معرفة أسباب النزول في تفسير القرآن الكريم. 6

ثالثا: ترجمة أبي حيان الأندلسي: 7

رابعا: التعريف بكتابه البحر المحيط ومنهجه فيه. 11

الفصل الأوّل: منهج أبي حيان الأندلسي في توظيفه لأسباب النزول

المبحث الأوّل: صيغ اعتماد أسباب النزول عند العلماء عامة.....16

المطلب الأوّل: موقف الزمخشري من أسباب النزول. 17

المطلب الثاني: موقف ابن جزي من أسباب النزول. 22

المبحث الثاني: توظيف أبي حيان لأسباب النزول القرآني 26

المطلب الأوّل: مسلك أبي حيان في عرض أسباب النزول القرآني. 27

المطلب الثاني: قواعد أسباب النزول القرآني عند أبي حيان. 33

الفصل الثاني: أثر أسباب النزول في تفسير أبي حيان الأندلسي-نماذج من سورة البقرة-

المبحث الأوّل: أثر أسباب النزول في آيات العقيدة والعبادات عند أبي حيان 46

المطلب الأوّل: آيات تتعلق بالعقيدة. 47

المطلب الثاني: آيات تتعلّق بالعبادات. 55

المبحث الثاني: أثر أسباب النزول في آيات الإحسان وأحكام النكاح والطلاق عند أبي حيان 64

المطلب الأوّل: آيات تتعلّق بالإحسان. 65

المطلب الثاني: آيات تتعلّق بالنكاح والطلاق. 72

خاتمة..... 79

الفهارس العامة..... 82
أولا: فهرس الآيات القرآنية. 83
ثانيا:فهرس الأحاديث النبوية. 92
ثالثا:فهرس المصادر والمراجع. 93
رابعا: فهرس الموضوعات..... 97